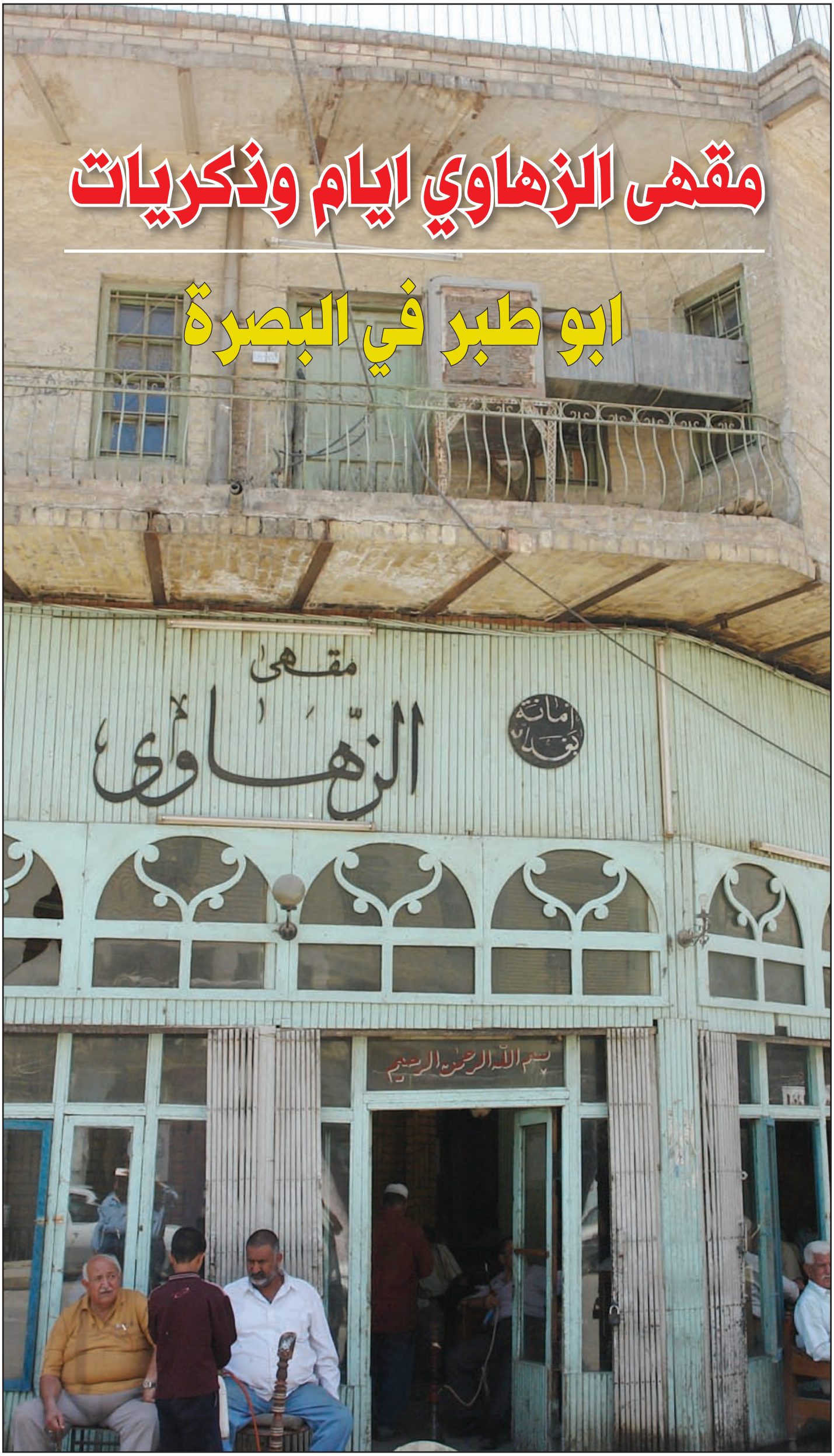

مقهى الزهاوي ايام وذكريات

ابو طبر في البصرة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2259) السنة التاسعة
الإثنين (26) ايلول 2011

6

كيف فقدت مذكرات أبي التمن؟!

ابو طبر في البصرة

الدكتور وصفي محمد علي
مدير معهد الطب العدلي الاسبق

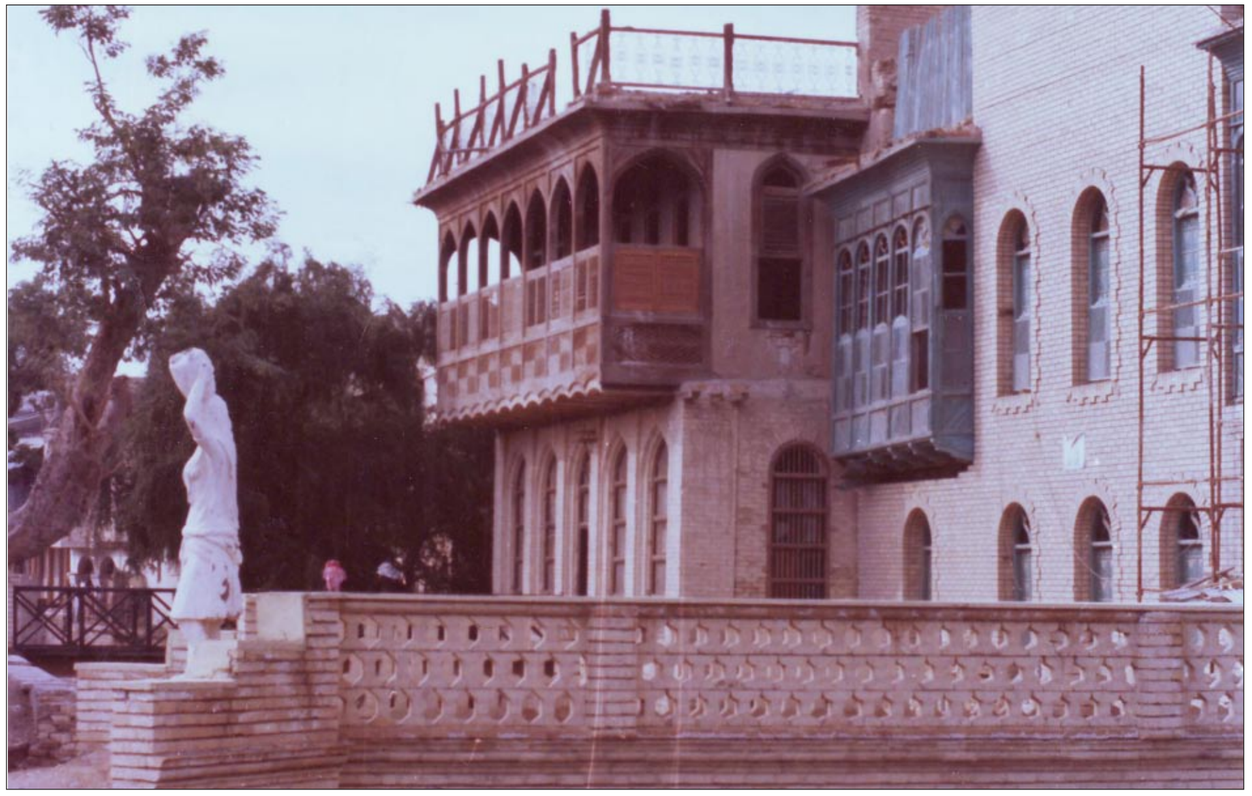

فحصت الكثير من الوقائع الطبية العدلية خلال ممارستي الطويلة التي جاوزت العقد الرابع ببضع سنين وانسب اتماما للبحث ان اختار الدور القليل الممثل لنفسية بعض الاشخاص واهمية الفرع اجتماعيا والضغط المسلط عليه احيانا لغرض تحريف الواقع وصلابة الطبيب العدلي تجاههم. الامر الذي يلزمه ان يكون طودا شامخا وان لاينحرف عن الحق ويستمر نزيها شاعرا بثقل الامانة الوظيفية التي يجب ان يؤديها على الوجه الاكمل.

١- كشف التضليل: وقعة اولى: انيطت لي مهمة فحص المصابين المرسلين من مختلف السلطات التحقيقية بعد ان كان يقوم بفحصهم اطباء العيادة الخارجية في المستشفى الجمهوري (الملكي آنذاك) واذكر ان اطرف حادثة جلبها الي محقق شرطة حيث جلب معه شخصا علي سدية وهو فاقد لوعيه اخبرني انه راجع المركز مدعيا بان – فلانا – اعتدى عليه بالضرب المبرح وهو يشكو الان من الم شديد من بطنه وبينما هو يسترسل بذكر افادته واذا به يسقط وقد فقد وعيه واستمر على حالته، فحصته بدقة وتاكدت من سلامة احشائه واتضح لي انه صحيح الجسم ولم يصب بضرر فخطر ببالي ان اقابله بالمثل واتحايل على فطلبت من المساعد الواقف بجانبي ان يتصل هاتفيا بالمسؤول عن غرفة العمليات ليهيئ نفسه لغرض استقبال مصاب سيرسل لغرض فتح بطنه واجراء عملية جراحية له، رجع المساعد بعد فترة قصيرة واخبرني بان كل شيء جاهز وهو بانتظار المصاب فطلبت اخذه الى غرفة العمليات واذا بالمصاب – كما يدعي – يقفز ويهرول هاربا خارج بناية المعهد وهو يصرخ باعلى صوته – ما احتاج عملية – فلحق به افراد الشرطة وامسكوا به واعادوه الي. فاستفسرت منه عن سبب هذا التظاهر بفقد الوعي فاجاب ضاحكا – فكرت ان الحيلة تعبر عليك يا دكتور – لعلمي بان الشرطة تحتجز المعتدي عندما يدخل المعتدى عليه الى المستشفى ويبقى محتجزا حتى خروجه من المستشفى.. هذه وقعة درس للاطباء توحي لهم بضرورة العمل الدقيق في واجباتهم المهنية كي لا يظلم الاشخاص.

وقعة ثانية: ان بعض وقائق القتل التي اسميها بالقتل السياسي كانت لا ترسل للمعهد لغرض الفحص تخلصا من تدوين الواقع في تقارير الطبيب العدلي كما حصل بالنسبة لجثة – الملك غازي – وجثة رستم حيدر وزير المالية في العهد الملكي.

واذا ارسلت جثة احيانا فان ضغط المسؤولين يوجه على اطباء المعهد وقد يكون من المناسب ان استشهد بالوقعة التالية:

ارسلت الى المعهد اثر الانتفاضة الشعبية على معاهدة بورتسموث – في سنة ١٩٤٨ – جثث بعض الشهداء وكنت انا مدير المعهد بالوكالة ومعي طبيب يساعدني هو زميلي الدكتور جهاد شاهين – ترك المعهد بعد ذلك مفضلا التخصص في الامراض الصدرية – حضر الى المعهد قاضي تحقيق بغداد لندن – قائلا لي ان ذكر الطلق سيحرج موقف الحكومة واستمر طالبا مني نفس الطلب وانا مصر على الرفض وكان كلامه بلهجة غير مستساغة وبعد الحاح يشوبه التهديد اجبته بقلب ثابت مملوء الايمان ان كالاطباء نذكر الحقيقة التي نشاهدها واني على ثقة ان الله في عوني وغلق الهاتف. اسرد هذه الوقعة لا للتبجح – والله يشهد – بل ليطلع عليها زملائي وما قاسيناه احيانا.

وقعة رابعة: ابو الطبر في البصرة: اقترفت في بغداد خلال سنة ١٩٧٣ وقائع قتل متعددة في فترات متفاوتة فبثت الرعب عند معظم اهالي بغداد واهتم للامر المسؤولون وشكلت لجنة واساتذة في علم الاجتماع والتحقيق وكنت انا من ضمنهم وكنا نقضي يوميا بعد اوقات الدوام واجبنا خلال ساعات طويلة تنتهي بعد منتصف الليل بعناء. لدراسة الوقائع واشارك انا في الكشف على محل الجريمة وقد تبين بان القتل كان يحصل بالة راضة قاطعة – كالطبر – ولذلك اطلق على القاتل ابو الطبر – وقد اشتد الخوف عند البعض لدرجة صار يتخيل اشخاصا بمظاهر مختلفة لابي الطبر فمنهم من يدعي انه شاهد شخصا يركض ف شوارع يلبس بدلة سوداء وانه طويل واخر متوسط وبقي بالتشريح الذي استغرق عدة ساعات مع فحص محل الجريمة ولاتمكن بعد واستفسر مني عن نوع المقذوفات التي عثر عليها في اجساد الشهداء مستدرجا بان الشرطة لم تطلق اية اطلاقة وان المتظاهرين اطلقوا الاطلاقات العديدة من مدسساتهم. فاجبته بان المقذوفات المعثور عليها هي لبندقية حربية عيار ٠,٣٠٣ من العقدة ولم يعثر على مقذوفات مدسس.

غادر القاضي المعهد ثم عاد وطلب مني عدم ذكر نوع المقذوف في التقارير الطبية العدلية التي سانظمها فرفضت طلبه وقلت انني اسجل في التقرير ما اشاهد وانقل الحقيقة الى السلطة التحقيقية. ترك القاضي المعهد اثر اصراري على ذلك الحقيقة، ومرت فترةزمنية قصيرة واذا برئيس ديوان مجلس الوزراء يتصل في هاتفيا طالبا نفس الطلب فرفضت ثم اتصل بي وكيل رئيس الوزراء وقتذاك – كان رئيس الوزراء في

غادر القاضي المعهد ثم عاد وطلب مني عدم ذكر نوع المقذوف في التقارير الطبية العدلية التي سانظمها فرفضت طلبه وقلت انني اسجل في التقرير ما اشاهد وانقل الحقيقة الى السلطة التحقيقية. ترك القاضي المعهد اثر اصراري على ذك الحقيقة، ومرت فترةزمنية قصيرة واذا برئيس ديوان مجلس الوزراء يتصل في هاتفيا طالبا نفس الطلب فرفضت ثم اتصل بي وكيل رئيس الوزراء وقتذاك – كان رئيس الوزراء في لندن

قصة التلفزيون في العراق

شارب زرياب بين مصطفى جواد وعباس جميل

حافظ قباني
اذاعي رائد

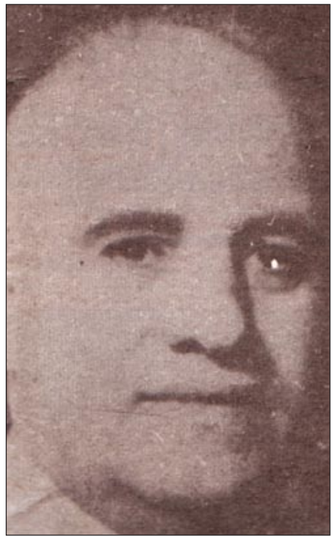

حكاية ما حدث ونقل على الهواء ان المغني عباس جميل قام في احدى الحلقات بدور المغني العربي "زرياب" وكان قد وضع "لحية" وتحت انفه شاربا مفتولا واثناء التمثيل خلع نصف شاربه وتدلى الى الاسفل فادار عباس جميل وجهه عن الكاميرا ورفع يده لكي يلصق الشارب مرة اخرى.. الا انه اخفق في ذلك عدة مرات وقد حدث كل ذلك امام الكاميرا حيث رصده المشاهدون جيدا.. وبعد ان انتهت التمثيلية واراد عباس جميل الخروج الى الشارع قابله عند باب الاذاعة المرحوم العلامة الدكتور "مصطفى جواد" قائلا: ماذا شغلت نفسك يا عباس يلصق الشارب الا تدري ان زرياب كان حليق اللحية والشارب؟!!

ان المنهج اليومي للتلفزيون يستغرق عرضه "وقته" اربع ساعات وعشر دقائق.. كان هذا الوقت موزعا بين مواد منوعة من الدراما المحلية والحفلات الغنائية والموسيقية الحية ونشرة الاخبار وبرامج التسلية وهي مواد تقدم من الاستديو اما النصف الاخر من المواد فكان محدودا بالعرض السينمائي موزعا بين فلم روائي "٣٥" ملم وافلام مغامرات وعلمية منوعة "١٦" ملم وهذا يعني ان قسم "لسي" ان "تلفزيون سينما" يمتلك نوعين من الاجهزة ذات "٣٥" ملم و"١٦" ملم كما ضمت اجهزة التلفزيون بين ما ضمت من اجهزة عددا من اجهزة التصوير السينمائي "١٦" ملم وقد استخدمت هذه الكاميرا لتصوير النشاطات الرسمية كافتتاح مشروع او زيارة لمؤسسة عامة او فعاليات مدرسية منوعة او مباريات رياضية.

وقد سدت هذه المادة الاخبارة المحلية الحاجة المطلوبة بهذا الشان وهكذا يمكننا القول في نفس الوقت ان هذا النشاط السينمائي اعلن قبل قيام او تاسيس قسم التصوير السينمائي في التلفزيون وهكذا، ثم هدم جزء ذي اهمية بالغة في جدار احدى عقبات العمل التلفزيوني، كما اعلنت اول اشارة في تحويل فوائد التلفزيون الى اهمية الاعلام المحلي المتواضع. ان كل العقبات التي تناولناها بالشرح والتحليل كانت محتملة الوقوع وتكاد تكون عقبات غير مهمة قياسا الى عقبة كبرى تتمثل في موقع المخرج الامريكي السيد "هالك" اذ انه خاض المعركة التلفزيونية بلا جنود قادرين على خوضها اضف الى ذلك افتقارهم الى خبرة اذاعية اولية والى خبرة مسرحية وسينمائية بل وحتى الافتقار الى الثقافة الفنية الواسعة وهذا سبب يكفي لاسباغ السذاجة والسطحية على معظم الاعمال التي قدمت انذاك منها الدراسية والمنوعات تاليفا وتمثيلا واخراجا ولا اجد نفسي متجنيا عندما اذكر هذه الحقيقة، فيما عدا بعض الاعمال القليلة كسلسلة افلام "بلادنا" وحكايات "ام علي" اخراج ناظم الصفار وتمثيل عبد الجبار عباس بوجود كل هذه الصراعات بين قطبي الصراع الخليلين "خليل كنه وزير المعارف وخليل ابراهيم مدير الدعاية العام وبوجود كل العقبات التي مر ذكرها لم تتوقف همة العراقيين في التلفزيون عن تقديم كل الجهود وتذليل كل العقبات كي يستمر العمل ويتواصل العطاء وكان معظمهم يقول ان التلفزيون ولد ولادة قيصرية ويجب علينا ان نمده بكل عناصر الحياة وشيئا فشيئا ادرك الجميع اهمية هذا الجهاز الخطير واخذ رصيد التلفزيون يرتفع ويقترب بهدوء من مستوى رصيد الاذاعة. لقد كنت واحدا من المساهمين في هذه الحركة من المساهمين في هذه الحركة الفنية وتركت نشاطاتي الاذاعية والصحفية لاتفرغ للاعداد والكتابة لهذا الجهاز الجديد والخطير واصبحت كمن راح يغرد خارج السرب، وادركت منذ الوهلة الاولى ان التلفزيون يتالف في الاساس من ثلاثة انماط من الفنون او تلك الفنون المسرح وانسبه الدرامية.

وثانيها فن السينما اي فن الصور المتحركة وثالثها فن الاذاعة الصوتية "الراديو" ولكي يستقيم العمل بشكل منطقي ودقيق من اجل الحصول على انتاج نافع ومفيد، ولكي يحقق التلفزيون في انتاجه عنصر التثقيف والاعلام والتسلية الراقية لابد لمن يتصدى بالكتابة للتلفزيون ان يكون ممن يمتلكون ثقافة موسوعية عالية.

ان توفر هذه المواصفات يساعد بالتاكيد على تحقيق الهدف المطلوب من التلفزيون بتحويله الى جهاز تثقيف بناء وتسلية عالية لمستوى تهذب النفوس وترقى بها الى المستويات الانسانية وتسهم في عملية التنوير بعرضها للحقائق التي يعتمدها الاعلام هدفا من اهدافه وهو نشاط يناقض بشكل حاسم وجاد "البرو باكاندا" الدعاية وهي الاسلوب الكاذب المخادع الذي يزيف الحقائق ويشوه كل المعطيات الطيبة ويسيء الى الانسانية بشكل غير مباشر او مباشر احيانا، وانا اكتب هذه السطور لابد لي من العودة الى مذكراتي عن بدايات الكتابة للتلفزيون متوخيا نقل التجربة كما هي الى الاجيال اللاحقة لكي لا يمروا بنفس التجربة، ولكي يطوروا اعمالهم ويعدوا مهاراتهم الفنية رغم انني مؤمن بان اي جيل مقبل لا يقبل تجربة غيره ويستوعبها دون تمحيص او تدقيق الا بعد خوضه التجربة بنفسه.

مجلة الاذاعة والتلفزيون نيسان 1977

الراحة من تنظيم التقرير الطبي العدلي لاقدمه للهيئة ولاحضر نفسي لامتحان طلاب كلية الطب في البصرة وكان صدفة ان الامتحان النهائي يبدأ صباح اليوم الثاني من وصولي وقد طلب عميد كلية الطب ورئيس جامعة البصرة القيام بهذه المهمة فوافقت.

اتماما للموضوع اقول ثبت فيما بعد ان المقذوفات اطلقت بالمسدس والتلوث الاسود ادى لمنطقة الجرح من صدغ الزوجة بارودي المنشا كما ثبت تحقيقا ان الخلافات كانت عنيفة بين الزوج والزوجة وانها كانت تهدد بقتل نفسها وزوجها وطفلها اكثر من مرة وهكذا ازيحت الستر عن الجريمة واطمان اهل البصرة.

استدعاني امام محكمة الشعب او كما سميت بمحكمة المهداوي: ارى من المناسب وانا اسجل مسيرة حياتي الطبية العدلية والتي ستكون ذكراي بعد موتي على ما اعتقد لازيل ما علق في اذهان البعض من لبس وماساور اخرين من شك في حيادي وصدقي وادون هذه الوقعة والله يشهد باني لم احد قيد شعرة عن ما التزمت به من صدق وعدل وحياد بالنسبة للمعتدي والمعتدى عليه ولا اقول هذا تبجحا بل اترك الامر للمنصفين وما اكثرهم على ما اعتقد، لقد استدعى المهداوي استاذي الدكتور احمد عزت القيسي كما استدعاني لغرض الاجابة على الاسئلة التي توجه لي. لقد استفسر مني فيما اذا يجب على الطبيب الفاحص لاصابة ما ان يخبر السلطة التحقيقية ويعالج في الوقت نفسه لانه انساني بطبيعة عمله فاجبته بالايجاب مستشهدا بما ورد من كراس التعليمات الطبية العدلية الصادرة عام ١٩٥٢ والتي ايدها وزير الصحة واعتبرها واجبا وظيفيا وقد التزم بهذا الكثير من الدول الاخرى على حب ان الطبيب انساني يجب ان يسعفه وانه مواطن صالح يجب ان لا يتستر على افعال قد تكون اعتدائية فالجرح في جسد شخص بفعل اعتدائي من سرقة وقتل او مشاجرة وان التفريق بين الحالتين – القضاء والقدر والحالة الجرمية ليس من واجب الطبيب بل المحقق ولهذا يبقى على الطبيب الفاحص اخبار السلطة التحقيقية للتحقيق في طبيعة الحال.

ان سر المهنة دس فيما بعد بسعة صدر والزم الطبيب باقشاء السر في بعض الحالات المرضية وقاية للمواطنين فيجب علينا نحن معاشر الاطباء ان نخبر عن وقعة هيضة مثلا كما يجب علينا ان نخبر الحقيقة عن اصابة جريمة واستنادا الى هذا المبدأ فقد شرعت المادة ٤٩٨ من قانون العقوبات رقم ١١١ الصادرة في سنة ١٩٦٩ وادونها فيما يلي:

يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة اشهر او بغرامة لا تزيد على ثلاثين دينارا كل صاحب مهنة طبية او صحية وجد ميتا او مصابا باصابة جسيمة اثناء قيامه بالكشف عليه او باسعافه علامات تشير الى ان وفاته او اصابته نتجت عن جريمة او توافرت قرائن تدعوه الى الاشتباه في سببه ولم يبلغ السلطات المختصة بذلك.

اتماما للموضوع اقول لقد تقابلت فيما بعد مع زميلي الدكتور تحسين معله وقلت له قد تكون قد اعتقدت باني اداليت بالشهادة للايقاع بك فارجو ان تثق باني قصدت الحق فقط ولو استدعيت مرة اخرى حول الموضوع لما غيرت جوابي.

جريدة الاتحاد اذار 1985

من اوراق عبد الحميد الرشودي

الصافي النجفي يستعيد ذكرياته عن بدايات الثورة العراقية

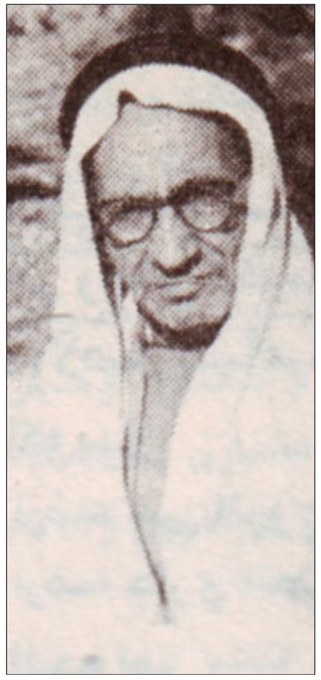
احمد الصافي الياسري

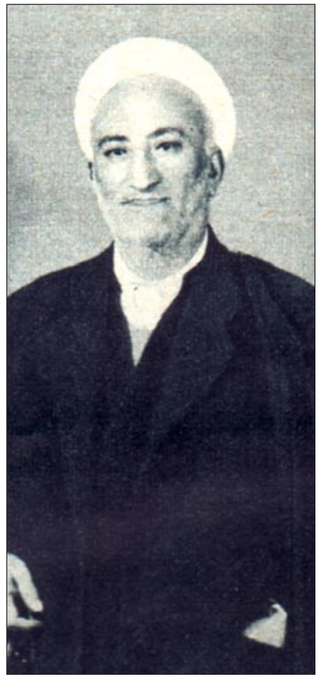
محمد رضا الشبيبي

الشيخ علوان الياسري

عبد الحميد الرشودي

كان من محاسن المصادفات ان يسكن السيد احمد الصافي النجفي عند عودته الى ارض الوطن دارا تصاقب دار الصديق الاستاذ حسين علي الخلف في حي المتنبي وكان هذا الصديق. وقد انعقدت بينه وبين الصافي علاقة وثيقة.

يحدثني عن الصافي وطراز معيشته المتسم بالبساطة والزهادة بمتع الحياة ويوافيني باخباره وقد عرض علي ذات يوم ان اصحبه الى زيارة السيد الصافي وكنت شديد الرغبة تواقا الى ذلك اللقاء.

وفي ذات يوم من ايام تشرين الثاني ١٩٧٦ ابلغني الصديق ان احضر عصرا لمقابلة الصافي فلما ازف الموعد اخذنا سمتنا الى داره المرقمة (٤) فاستقبلنا على عتبة الباب رجل قروي كان يسكن هو واسرته مع الصافي وقد اوكلت اليه خدمة الصافي فقادنا الى حجرة جرداء فجدتني وجها لوجه امام الصافي وقد افترش ارض الحجرة واسند ظهره الى الجدار وكانت امارات الاعياء بادية عليه وبعد القاء السلام اعتدل في جلسته ورحب بنا وطلب الى الرجل ان ياتينا بكرسيين للجلوس اذ لم يكن في الحجرة اثاث سوى فراشه وبعد احاديث شتى سبق ان نشرت طرفا منها في جريدة (العراق) وطويت بعضا انجز الحديث الى بدايات الثورة العراقية الكبرى في ٣٠ / حزيران ١٩٢٠ واسباب اندلاعها وعزم على ان ادون ما يقوله ولم اكن متهيئا لذلك فاستعنت ببعض قصاصات من الورق كنت احملها في جيبي فدونت ما استطعت تدوينه ولا ازعم اني استطعت تدوين كل ما قام به الرجل وهذه شذرات مما دونته ومما علق بالذاكرة قال رحمه الله واكرم مثواه.

عندما اعلن الرئيس الامريكي ولسن شروطه الاربعة عشر للصلح وفيها ان لكل شعب حق تقرير مصيره بنفسه فرايت ان استغل هذا الشرط للمطالبة باستقلال العراق وكنت في كل يوم اسير على طرف سكة الحديد انا وصديقي سعد صالح الذي كان اصغر مني سنا وعلما فهو اصغر مني بثلاث سنوات ولم تكن علميته واسعة ولكنه كان مليئا بالطموح والجراة فعرضت عليه الفكرة فوافق عليها وبعد يومين كنا نسير قرب المحكمة الانكليزية فالتقينا بشخص بلبس البدلة الرسمية. اسمر اللون بارز الوجنات فقدمني اليه وقدمه الي باسم صالح جبر. وكان كاتبا في المحكمة الانكليزية فعرض عليه الفكرة فايده.

عدت ليلا الى دارنا وكان يسمر عندنا كل ليلة الشيخ عبد الكريم الجزائري فعرضت الفكرة عليه وعلى اخي السيد محمد رضا فرفضا فبقيت الح عليهما وهما يرفضان وبعد خمسة ايام جاءني اخي السيد محمد رضا وهو بطل شجاع انوف فقال: (لقد ذهبت اليوم لمراجعة حاكم الكوفة العسكري بلفور لقضايا تتعلق ببساتيننا في (الجعارة) فصرح في وجهي وخرجت حانقا متذمرا).

فاستغليت ذلك باثارة حقده على الانكليز المستعمرين الطغاة ثم جاءني بعد عشرة ايام او اكثر وقال لي : (لقد ذهبت اليوم الى (ابو صخير) لمقابلة القائمقام. وكان من عادة المراجعين ان يطرقوا الباب ثم يدخلون بلا استئذان.

فاراد الانكليز ترويض العراقيين وخضد شوكتهم فاسسوا صالون انتظار فيمكث المراجع وقتا طويلا حتى يـؤذن له بالمواجهة. ولم يكونو يعلمون ان صالون الترويض سيكون الحقل الذي تنبت فيه بذرة الثورة العراقية، ثم اردف اخي قائلا فجلست وكان امامي السيد علوان الياسري الذي صار فيما بعد من اكبر زعماء الثورة فاخذ كل واحد منا ينظر الى الاخر وتفاهمنا بالنظر ثم اشار الي بالخروج فخرجت من الصالون واخذنا نتجول عند احدى السواقي فقال لي السيد علوان الياسري الى متى تبقى هذه الحالة؟ فقلت له انا حاضر. فقال انا مستعد ان اهيئ العشائر للثورة ولكنهم – كما تعلم – لا يتحركون الا بفتوى دينية. وعلماء الدين عندنا لا يفهمون بالسياسة فتريد ان تكون واسطة بيننا وبينهم فتفهمهم معنى السياسة فقلت له ما رايك بالشيخ عبد الكريم الجزائري فقال: عال، فوعدته خيرا.

قال لي اخي السيد محمد رضا انت تعرف رأي الشيخ عبد الكريم الجزائري وموقفه من هذه الفكرة فقلت له سيحضر الليلة عندنا ويعيدنا الله عليه فلما حضر الشيخ كعادته عرض عليه اخي الفكرة وقد قوي املي لاننا اصبحنا شخصين ازاء شخص واحد.

فلما عرضنا عليه الفكرة امسك الشيخ الجزائري بفنجان القهوة وقال: هل تستطيع ان تفرغ قربة ماء بهذا الفنجان؟ فقلنا لا فقال الشيخ فهذا حال العرب اليوم لا تسمح ظروفهم بمثل هذا العمل فبقينا نتابع مناقشته الموضوع في كل ليلة ونعيد ونبدي وبعد مرور نصف شهر تقريبا رأني الشيخ عبد الكريم الجزائري تحت سابات الملا محمود فقال لي تعال يا احمد تعال لقد كنت في كربلاء واجتمعت بالشيخ محمد تقي فبادى استعداده للتعاون معنا فاريد ان تجمعني مع الشيخ محمد رضا الشبيبي فطلبت الى الجزائري ان يسبقني الى دارنا وذهبت من فوري الى الشيخ الشبيبي، وكنت موضع ثقته، وحين افضيت اليه بالحديث وعرضت عليه الفكرة قال: انه لا يثق بالشيخ عبد الكريم الجزائري واضرابه لانهم في رأيه. رجعيون خرافيون فالاحجى عليه فستجاب لالحاحي وصحبني الى دارنا فجلس معهم وافردوني في حجرة تقابل حجرة الاجتماع ولم يشكروني معهم في الحديث لعدم اطمئنانهم مني لانني كنت يومئذ شابا. وبعد ان امضور ثلاث ساعات اقبل الشيخ الشبيبي علي وقال لي: ابشرك، وكان قابضا يده، ابشرك بانها حنطة لاشعير فقد تقرر ان اركب جملا واحمل وثائق من زعماء العراق الى الشريف حسين وهنا امسك السيد الصافي عن الحديث وقال ثم كان ما كان مما تعرفونه ويعرفه الجميع.

× ومما يلفت النظر ان الصافي كان كثير الاستظهار لشعره معتزا به وكان كلما يعرض في النقاش بيتا لشاعر ما يقول لقد قلت مثل هذا وانا امقت التقاليد وشعري من وحي الطبيعة لا تكلف فيه ولا اعتسار وقد استطعت ان ادن طرفا من تلك الابيات التي استشهد بها قال:

الله استاذي الاعلى يدرسني
لذاك يدرس عندي كان استاذ

× والصافي صوفي بالفطرة وقد اعرب عن مذهبه بقوله:
تصوفي ليس عن علم ولا طرق
تصوفي رؤية لله لا علم

وهذا حق وصدق فليس التصوف في لبس الصوف وانتحال المخصوف وتقر الدفوف انما هو سمو روحي كما عبر عنه الشيخ معروف الكرخي الاخذ بالحقائق وترك ما في ايدي الخلائق.
وقال الصوفي:
يوحد نفسك بالكائنات
من النفس اثار فكر غرر
هي النفس اوجدت الكائنات
ففيها من النفس كل الاثر
وفي كل صنع من النفس جزء
سواء افيه اختفى ام ظهر

وقال:
كل يوم ازيح عني ثوبا
باليا من عقائد الاحقاب
املا ان اعري النفس حقا
من لباس يشينها وحجاب
فتراني ما عشت انزع اثوا
با كاني كونت من اثواب
صرت اخشى ان انضى كل ثيابي
لم اصادف روحا وراء الثياب
فكاني القشور كون منها
يصل مابه سوى الجلباب
ياعودة للدار ما اقساها
اسمع بغداد ولا اراها

وقال:
الى الحق ادعو لا لنفسي ان اكن
نظمت قريضي او شرحت خواطري
وما انبغي من درس شعري دعاية
ولكن (عيونات) لعمش النواظر
واني رايت الحق والفن واحدا
ولكن فن الحق ليس بظاهر
وما الفن الا الحق يبدو لناظر
ضعيف الرؤى . والحق فن البصائر
رحم الله الصافي فما كان احلى حديثه واشهى

أول جامعة عراقية

كيف تأسست... وكيف الغيت؟

جميل الطائي
باحث تراثي

المقبرة الملكية

الداخل الى شارع الشباب، المتفرع من شارع "الامام الاعظم" في الاعظمية – رأس الحواش – وبتحديد اكثر دقة من الجهة التي تبدأ من "حديقة النعمان" يشاهد عند نهايته صرحا ومرتفعا، اقيم وفق نمط العمارة الاسلامية، بريازته وهندسته الجميلة، وقد علت هذا الصرح، ثلاث قباب زرقاء اللون، اوسطهما اكبرهما حجما، والتي عرفت فيما بعد بـ(المقبرة الملكية) لكونها تضم رفاة الملوك مع بعض افراد اسرهم ، اولئك الملوك الذين تولوا الحكم في العراق، منذ قيام الملكية فيه بتاريخ ٢٣/ اب / ١٩٣١ ولغاية صبيحة يوم الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، وهو تاريخ قيام الجمهورية العراقية.

× وعند وقوفنا امام هذا الصرح وجدنا على الجهة اليسرى منه بنايتين كبيرتين، وواسعتين شيدتا ايضا وفق الريازة العربية التراثية، لتشغلهما فيما بعد "دار المعلمين الابتدائية. (معهد اعداد المعلمين) حاليا وتحيط بهما الحدائق والاشجار، وباسقات النخيل، اما متى وما هي الاسباب التي دعت لقيام هاتين البنايتين، والصرح المشار اليه اعلاه..؟ فلا بد لنا من الرجوع الى فترة مضت من تاريخ عراقنا المعاصر لنقف على الاسباب التي من اجلها اقيمت تلك الابنية لنسلط الاضواء عليها، ولتعريف ابناء جيلنا والاجيال القادمة بجزء من هذا التاريخ ليس الا .. لذلك وبعد الرجوع الى المصادر الموثقة بهذا الخصوص وقفنا على المعلومات الاتية:

عند بداية قيام الحكم الملكي في العراق في عام ١٩٢١، كانت هناك فكرة، تراود اذهان نخبة جليلة من اصحاب الفضيلة من العلماء ورجال الفكر في بغداد هي القيام بتاسيس جامعة كبيرة، تعيد لعراقنا العزيز مجده الزاهر، ونهضته العلمية المندثرة، وجاءت الفكرة بان تكون للجامعة المذكورة عند التاسيس من شعب هي الدينية، الطب الهندسة، الحقوق، الاداب، والفنون ليؤمها طلاب العلم للتزود من روافدها العلمية المختلفة.

× وما ان اختمرت الفكرة واتفق عليها جميع المساهمين فيها وبشكلها النهائي طرحت برمتها امام الملك فيصل الاول الذي اثنى بدوره على مبادرتها الخيرة والنبيلة لانشاء هذا المشروع الحيوي الكبير وبعد موافقة الملك شكلت وعلى الفور لجنة تاسيسية بتاريخ ١٩٢٢/١١ برئاسة وزير الاوقاف يوم ذاك السيد محمد علي فاضل. وضمت لعضويتها بالاضافة الى الفنيين العراقيين عددا من الفنيين الاجانب، منهم المستشار الانكليزي في وزارة الاوقاف انذاك المستر (كوك) والميجر (ويلسون)، الذي كان يومها يشغل وظيفة مدير الاشغال العامة، اما الموقع الذي تم اختياره لقيام ابنية الجامعة عليه فهو ارض الحديقة الواسعة، والعائدة ملكيتها الى وزارة الاوقاف في منطقة الاعظمية اما سبب اختيارهم للموقع المذكور فذلك يعود لكونه يتمتع بطيب هوائه نظرا لقربه من نهر دجلة الخالد، ولهدوء موقعه، اما المبلغ الذي رصد لهذا المشروع الضخم يوم ذلك فهو (٥،٠٠٠،٠٠٠) روبية.

× وتم افتتاح اول شعبة من شعب الجامعة الست، الا وهي الشعب الدينية بتاريخ (٩ / شعبان/ ١٣٤٢ هـ) الموافق (١٥ اذار ١٩٢٤)، اي بعد سنتين من تاريخ تاسيسها وهنا لابد لنا من الاشارة الى السبب في اختيارهم ليوم التاسع من شعبان يوما للافتتاح، عن هذا في صدر موضوعنا، واسباب اقامته فقد جاء ذلك من ضمن التصاميم الخاصة بابنية الجامعة المذكورة، والتي اطلق عليها اسم (جامعة ال البيت) ليكون صرحا مركزيا لها ومدفنا يضم فيه رفاه الملك فيصل الاول بعد وفاته، ولكي يكون ذلك بمثابة رمز لتكريم العلم في العراق وليصبح بامكان الوفود عند مجيئها لزيارة الجامعة ان تقوم في الوقت نفسه بزيارة ضريح الملك ايضا، وفي يوم الافتتاح الذي تم في التاريخ اعلاه حضر الملك فيصل الاول الاحتفال الخاص بتلك المناسبة كما حضره وجهاء وعلماء البلد بالاضافة الى حضور جمهور غفير من ابناء بغداد وطلبة مدارسها، حيث شهد الجميع في بداية الاحتفال عرضا خاصا قام به لواء من الجيش العربي، بعدها القيت كلمة وزير الاوقاف القاها نيابة عنه فضيلة الشيخ عطاء الله افندي الخطيب الذي كان يومها يشغل وظيفة مدير الاوقاف.

وعند الانتهاء من كلمته القى الملك فيصل الاول كلمة بالمناسبة وبعدها قدم له وزير الاوقاف حجر الاساس وكان موضوعا على طبق ومعه كأس فضية رسم على جانب منها صرح الجامعة المذكورة وقد تم وضع الحجر الاساس، حيث دق الملك الحجر بالفاس اربع دقات كل واحدة منها على ركن من اركان الحجر قائلا: (بسم الله الرحمن الرحيم بحول الله وقوته اسس هذا الصرح)، وبعد الانتهاء من تلك المراسيم وقبل وصوله الى باب الشعبة الدينية قدم له مفتاح من الذهب، من قبل وزير الاوقاف ايذانا بافتتاحها.

× ولاجل اختيار الهيئة التدريسية للشعبة الدينية، اوعز وزير الاوقاف بتوجيه دعوة للعلماء ورجال الفكر في بغداد، للحضور في مقر ديوان الوزارة بعد ان حدد لهم يوم العاشر من كانون الاول من العام نفسه من اجل التباحث والتشاور بشؤون تعيين الهيئة التدريسية التي ستاخذ على عاتقها القيام بالتدريس في الشعبة المذكورة وفي اليوم المحدد للاجتماع، حضرت الغالبية العظمى من المدعوين، وتم انتخاب اول هيئة تدريسية تشكلت من العلماء ورجال الفكر والادب وهم الشيخ يوسف العطا – لعلم الحديث – الشيخ عبد الحليم الحافي – لعلم الخلاف – الشيخ عبد الجليل ال جميل – لاصول الفقه – الشيخ عبد الملك الشواف – لعلم التفسير الشيخ احمد الراوي – لعلوم اللغة كما تقرر في الاجتماع المذكور ايضا تعيين السيد فهمي المدرس امينا عاما لها ، اما الذين تولوا التدريس فيها منهم: العلامة عبد الوهاب النائب العلامة محمود شكري الالوسي، الدكتور ناجي الاصيل العميد طه الهاشمي – لتاريخ الاديان الشيخ صبيح نجيب العزي لعلم الاجتماع – الشيخ محمد سعيد الراوي لتدريس الفلسفة الاسلامية – الشيخ عبد العزيز الثعالبي – حكمة التشريع – والاخير من ابناء تونس.

الا انه وبعد مرور سنة واحدة من افتتاح هذه الشعبة والمباشرة في التدريس فيها اخذت تظهر على ساحتها الخلافات والعقبات للحيلولة دون اكمالها، والاستمرار في انجاز البقية الباقية من اعمال الجامعة، كما اخذت تلك الخلافات توضع ايضا امام امين عامها فهمي المدرس عن طريق رفع المذكرات التي اخذت طريقها الى مجلس الوزراء اولا والى الملك الذي ظل حائرا بما كان يشاهده من خلافات ثانيا، وهكذا حتى اشتد النزاع بصورة اكثر حدة بين فهمي وبين نوري السعيد لان الاخير كان يجانب المتحمسين والمندفعين لغلق الجامعة قبل ان ترى النور، يضاف الى هذا كله موقف الانكليز المتحمس هو الاخر، لافشال المشروع وفي مقدمتهم المستشارون في كل من وزارتي المعارف والاوقاف، وقد ادت كل هذه الامور والصعاب مفعولها وذلك عند قيام نوري السعيد باتخاذ قراره المجحف باغلاقها نهائيا وجاء قراره هذا في شهر نيسان من عام (١٩٣٠م) اي بعد ست سنوات من تاريخ التاسيس وبعد تخرج دورتين من طلابها والذين اعتبروا فيما بعد بحق من ابرز من قاموا في خدمة العلم والادب والفكر والقضاء في العراق.

من مهملات تاريخنا الحديث...

كيف فقدت مذكرات أبي التمن؟!

رفعة عبد الرزاق محمد

كنت قد كتبت في جريدة "الاتحاد" الزاهرة، في عهدها الاول "١ كانون الاول ١٩٨٧" مقالا عن المذكرات التي تركها المرحوم جعفر ابو التمن، وفقدت بعد وفاته، وقد عرف بامرها عدد من اصدقاء الفقيد ومريديه، واول من نبهني الى الامر، هو المرحوم ضياء شكارة: ت ١٩٨٣"، ثم اكد فقيد الصحافة والادب المرحوم عبد القادر البراك "ت ١٩٩٥" هذا الموضوع في مقال له بمناسبة رحيل الاستاذ قدري قلعجي، الكاتب العربي الكبير، سنة ١٩٨٦، غير ان البراك – رحمه الله – كان يعتقد ان مذكرات ابي التمن بقيت لدى قلعجي ولم تعد الى بغداد، حتى وقع ما ليس في الحسبان، فقد اطلعت في دار الكتب والوثائق، على ملف يضم بعض اوراق ابي التمن، مما يدل على ان المذكرات عادت الى اسرة الفقيد.. حتى التقيت بالاستاذ الفاضل ناجي جواد الساعاتي في جلسة اقامتها جريدة "الاتحاد" في بناية اتحاد الصناعات العراقي في اوائل سنة ١٩٨٨، وقدم لي متفضلا فوائد تاريخية عن الموضوع، كشفت ما خفي من الموضوع ووضعت الحقيقة في نصابها.

– فما هي حكاية هذه المذكرات؟

× بعد اشهر قليلة من وفاة الحاج جعفر ابو التمن توفي يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥، كلف المرحوم عبد الكريم الدجيلي "ت ١٩٧٤" بوضع كتاب عن حياة ابي التمن ونضاله الطويل في سبيل القضية الوطنية، وقد قام المرحوم جميل كبة، زوج ابنة ابي التمن – والاستاذ عبد الفتاح ابراهيم، وهو من اكثر المتأثرين به وبمسلكه في العمل السياسي، بتوجيه الدجيلي وبيان ما يودان بيانه، وتم الاتصال بالمرحوم عبد العزيز ابو التمن، نجل المترجم له، وطلب منه تقديم ما ترك الفقيد من اوراق او مذكرات.

ذكر الدجيلي تعقيبا على ذكريات المرحوم احمد زكي الخياط، عن احدى مواقف ابي التمن في ثورة العشرين "ج. البلد ليوم ٢٧ ايلول ١٩٦٦" ان النية كانت متجهة لاصدار رسالة عن ابي التمن، بمناسبة الذكرى الاولى لرحيله، ولاتمام الرسالة صحب الدجيلي، السيد جميل كبة الى دار ابي التمن في شارع ابي نواس، فجاء المرحوم عبد العزيز ابو التمن بـ"١٤" اضبارة منسقة تنسيقا بديعا ومرتبة زمنيا يقول الدجيلي: وبعد جلستين او ثلاثة استوعبت ما فيها، فاشترطت لاكمال مهمتي ان تهيا لي غرفة في هذه الدار او ان تدفع لي المذكرات واكمل العمل في داري، الا ان ولده عبد العزيز بحملها الى بيروت والاتصال بالاستاذ قدري قلعجي ليكتب عن جعفر ابو التمن، وقام الساعاتي بما طلب منه صديقه عبد العزيز ابو التمن، واتصل بقدري قلعجي، الذي اعجب بسيرة ابي التمن، وقرر الكتابة عنها بعد دراسة الاضبارات.. غير ان المرحوم عبد العزيز سافر بعد فترة وجيزة الى بيروت وعاد بالاضبارات، مستنكرا موقف قلعجي ومردودا: ان اكثر الناس يركضون وراء المال.

ويضيف الاستاذ الساعاتي في حديثه القيم، ان المرحوم عبد الكريم الدجيلي تعهد بدراسة مذكرات ابي التمن واخراج كتاب عنها، فاخبيره لاوراق مختلفة.

اما باقي الاضبارات فلا اتذكر محتوياتها.. وبعد مدة اخبرت بان المرحوم عزيز نجل الفيد قد سلم كل هذه المذكرات الى الاستاذ قدري قلعجي ليضع رسالة عن ابي التمن، ضمن سلسلة كتبه الخالدين، ثم ذهبت مدة وتوفي عزيز ولا اعلم مصير المذكرا.

× هذه هي شهادة المرحوم عبد الكريم الدجيلي عن الموضوع لقد ذكرت في مقالي المتقدم ذكره ان المرحوم قلعجي، عزم على وضع دراسة عن سيرة ابي التمن السياسية. وقد كلف الاستاذ ناجي جواد الساعاتي، صديق عائلة ابي التمن وزميل عبد العزيز في كلية الحقوق، بارسال المذكرات الى قلعجي، ولم يحصل الاتفاق فاعيدت الاوراق الى بغداد، ولا صحة للقول بانها بقيت لدى قلعجي او فقدت عنده.

وذكر الاستاذ ناجي جواد الساعاتي، وهو شخصية بغدادية تجمع الادب والفضل والظرف، انه في احدى زياراته الى صديقه عبد العزيز ابي التمن في داره، طلبت منه السيدة زوج الحاج جعفر ابو التمن ان يشترك مع ابنها بنقل مكتبة الجلبي واهدائها الى مكتبة الخالدي العامة، وتم الامر وبقيت اوراق الفقيد الخاصة ورسائله لدى ابنه وقام الساعاتي بتنظيمها في اضبارات خاصة، ثم كلفه عبد العزيز بحملها الى بيروت والاتصال بالاستاذ قدري قلعجي ليكتب عن جعفر ابو التمن، وقام الساعاتي بما طلب منه صديقه عبد العزيز ابو التمن، واتصل بقدري قلعجي، الذي اعجب بسيرة ابي التمن، وقرر الكتابة عنها بعد دراسة الاضبارات.. غير ان المرحوم عبد العزيز سافر بعد فترة وجيزة الى بيروت وعاد بالاضبارات، مستنكرا موقف قلعجي ومردودا: ان اكثر الناس يركضون وراء المال.

ويضيف الاستاذ الساعاتي في حديثه القيم، ان المرحوم عبد الكريم الدجيلي تعهد بدراسة مذكرات ابي التمن واخراج كتاب عنها، فاخبيره

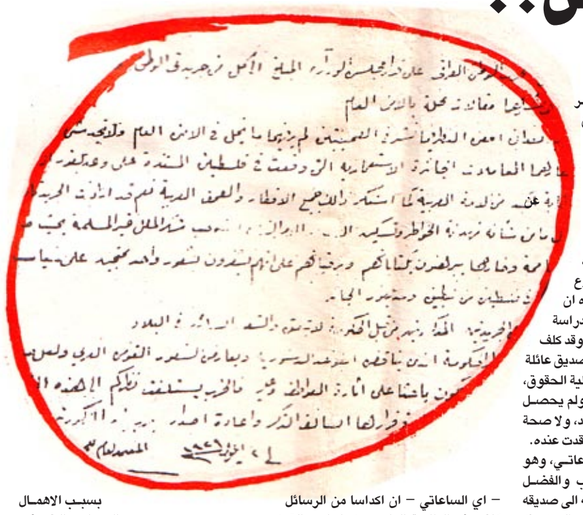

– اي الساعاتي – ان اكداسا من الرسائل كانت في الطابق العلوي من دار ابي التمن. كانت محفوظة باكياس كبيرة "كوانتي" وفي غرفة مهملة.. وفاته ان يسأل عن مصير تلك الرسائل فيما بعد، وفي الخمسينيات وبسبب الاحداث السياسية بين الحركة الوطنية والسلطة، اضطرت اسرة ابي التمن ان تدس الاضبارات والاوراق والرسائل الاخرى في صفائح تنك وتدفنها في حديقة الدار.. بينما ذكرت السيدة زوج عبد العزيز جعفر ابو التمن للمرحوم عبد الرزاق عبد الدراجي، مؤلف رسالة جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية المنشورة، ان دفن هذه الاضبارات كان بعد مقتل زوجها عبد العزيز سنة ١٩٥٩ في ظروف غامضة ثم اخرجت وقد تعفنت وتآكلت ولم يبق منها سوى اوراق قليلة، سلمت الى مركز حفظ الوثائق.

× اذا هذه هي حقيقة ما جرى لمذكرات جعفر ابو التمن، وما اكثر الوثائق التي فقدناها بسبب الاهمال والجهل والخوف، وهكذا ضاعت هذه المذكرات، ولم يبق منها سوى الذكرى الباهتة، الاضبارة المحفوظة في "دار الكتب والوثائق"، وهي عبارة عن مجموعة من الرسائل الموجهة الى ابي التمن من شخصيات مختلفة، الا ان اهمها واطرفها، رسالة من الاستاذ الفاضل عبد الفتاح ابراهيم، مؤرخة في ٦ كانون الثاني ١٩٣٧، ينعى فيها على رفاقه من "جماعة الاهالي" وكيف اهملوه بعد نجاح انقلاب ١٩٣٦، الذي اشتركوا فيه، وهي رسالة مؤثرة، وجديرة بالتحقيق، كتبها عبد الفتاح ابراهيم، وهو في فورة الغضب على من وصفهم بناكري الجميل ذكر فيها ان الجماعة اتهموه بشتى الاتهامات، رغم انه وقف الى جانبهم السنين الطوال، وكان له الفضل الاكبر في وضع الدائرة التي ظهروا بها الى الناس، ويضيف، وقد كانت حجتهم ان الدافع الحقيقي لموقفي هو رغبتي في الترفيع كموظف، مع انهم يعلمون حق العلم انه انقضى على ثماني سنوات، وانا محروم من الترفيع بالرغم من ان الذين عبثوا معي وبعدي بل وحتى تلامذتي، قد تقدموا الى مناصب المسؤولية وترفعوا درجتين او ثلاثة، وان المانع الحقيقي في حرماني من هذا يرجع الى صلتي بهم وانه كان بوسعي دون حاجة الى سلوك الطرق المعوجة ان احصل على الترفيع بسهولة في فترات متعددة، وانني كنت مستعدا للاستقالة من الوظيفة.. ثم حذر ابا التمن ان يكون ستارا لمقاصدهم السيئة، ثم طالب بتسوية حسابه في جريدة الاهالي، وقطع الصلة مع الذين لا يستحقون المعونة والتشجيع. ان هذه الرسالة توضح موقف عبد الفتاح ابراهيم – احد مؤسسي جماعة الاهالي – من انقلاب بكر صدقي والحقيقة ان مقاطعة عبد الفتاح لجامعته، بدأت منذ ان بدأ تفكير الجماعة بامكانية الاستعانة بالجيش ثم تبلور هذا التفكير الى اتصال حكمة سليمان بكبر صدقي، وعدم ممانعة كامل الجادرجي، اقوى شخصيات الجماعة، لهذا الاتصال ويبرر الجادرجي في مذكراته من ٤٣ الموقف بقوله: ان الوضع في الايام الاخيرة من عهد ياسين الهاشمي، قد جعل الامل معدوما في سلوك الطريق الديمقراطي، وفي هذه الحال يمكن اللجوء الى العنف.

في مزرعة ال القزويني في الحلة من اليمين موسى القزويني، فخري جواد، ناجي جواد، الدكتور صلاح الدين ناهي، عبد العزيز ابو التمن

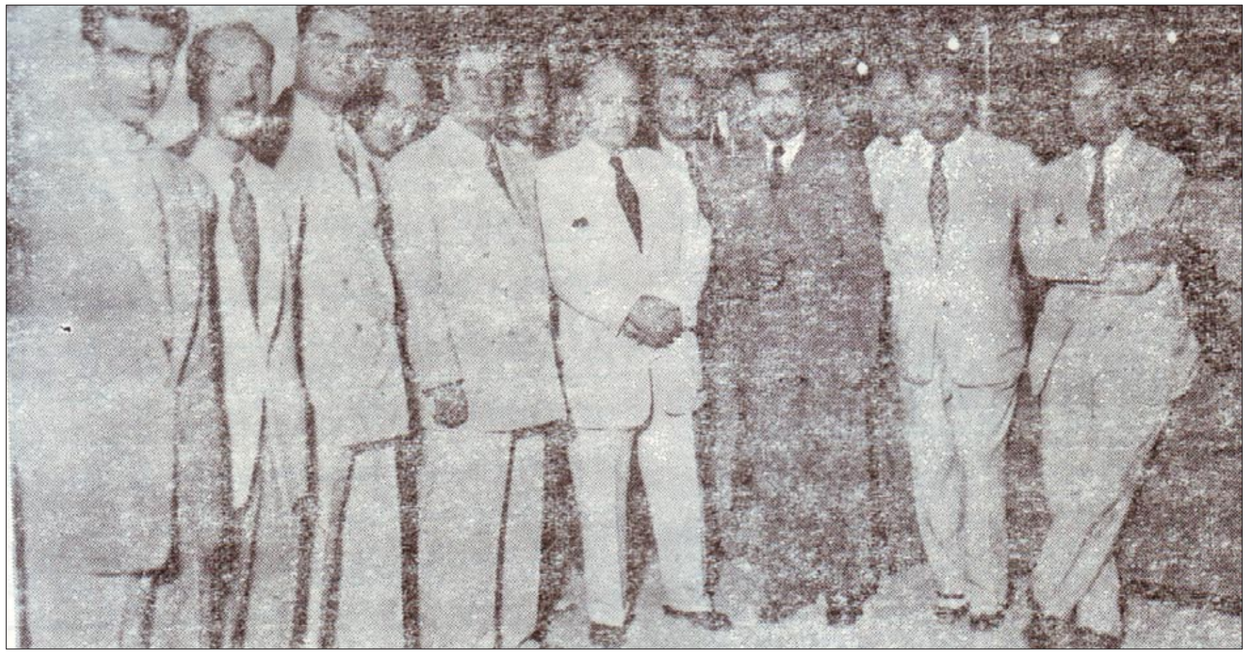

الجمعية الطبية العراقية عام ١٩٥٢ – من اليسار المرحوم د. جلال حمدي، المرحوم د. فؤاد مراد الشيخ، الامير المضايفي (كان زائرا)، المرحوم . هاشم الوتري، المرحوم د. اسماعيل ناجي، المرحوم د. عبد الجبار العماري، السيد فكتور. وخلفهم من اليسار د. كليمان سركيس، د. كمال رشيد، د. غازي حلمي، والمجبر الفني جلال شاكر.

الدكتور جلال حمدي

كنت صديقا للملك غازي

ولد الدكتور جلال حمدي سليمان في بغداد عام ١٩١٦، ثم انهى دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدرسة المأمون والثانوية في الاعدادية المركزية ثم دخل كلية الطب، وتخرج منها سنة ١٩٣٩، وحصل على الاختصاص بعد رجوعه من امريكا اواخر سنة ١٩٤٧ وحصوله على شهادة الاختصاص من كلية هارفرد في بوسطن ثم حصل على الاختصاص في ناظور القصبات والمعدة من كلية تامبل في فيلاديفيا عند تخرجه من الكلية الطبية عين في المستشفى الملكي في شعبة امراض الانف والاذن والحنجرة عندما كان يرأسها الدكتور جميل دلالي عند تعينه كان مساعدا لرئيس الوحدة ثم بعد رجوعه من امريكا حصل على لقب استاذ مساعد.

كان يدرس الصف الاخير من مدرسة المرضات والموظفين الصحيين كما كان يدرس طلابا من الكلية الطبية عمليا. ومنذ سنة ١٩٥٦ صار يدرس طلاب الصف الخامس من الكلية الطبية نظريا وعمليا اهم عمل انجزه خلال اشتغاله / اخراج العلقة كما يقول من الحنجرة وقيامه بهذه العملية صدفة اذ ارسل لشعبته مريضا هزيلا جدا ويخرج دما مع لعابه وكثير التذمر فادخله الى الردهة (١٥) للرجال وعند فحصه كانت العلقة لاصقة وراء الانف وكبيرة الحجم سوداء اللون واخرجها بعملية بسيطة ثم تكررت مراجعة مثل هؤلاء بعد ان عرف عنها اذ وجد الاطباء يومها المصابين بها كانوا يشربون المياه من الساقية بكفهم وكان هذا الماء مليء بالعلقات الكثيرة منها يذهب الى المعدة ونادرة ما تعلق واحدة باعلى الحنجرة وتعيش بها اما خلف الانف او في الحنجرة او في الاوتار الصوتية تمتص دماء المريض الى ان تكبر حتى تصل اكثر من ٥ سم وكانت عند دخولها لايزيد طولها عن ربع سم وبعد اخراج هذه العلقة يتماثل المريض للشفاء.

ان اخراجها يحتاج الى الدقة والتاني واعطاء المريض قليلا من المخدر لكي ترتخي مصاصاتها قليلا وتسهل اخراجها، واصبح تردهم حالات متعددة من هذه الحالة بعد ان كانوا يحتارون بتشخيص المرض. كان يجتمع بمساعدة رئيسة المرضات في وحدتهم أن ذاك الاخت (مادلين) حيث ان المرحوم الدكتور جلال حمدي سليمان قد قيم غرفة الدواتي او العمليات ولا يدري لازالت موجودة ام فقدت لانه من عليها ما يزيد عن ثلاثين سنة.

وقد كتب بحثا عن ذلك ارسله الى رئيس شعبة كلية هارفرد الدكتور (شول) وقد ارسلها الى احدى المجلات الطبية في امريكا واستغرب عن وجود العلقة في الحنجرة لانه و(حسب قوله) لم ترد او لم يسمع عن وجود مثل هذه الحالة.

بعد ذلك ذهب لاكمال الدراسة الى كلية تامبل في فيلادفيا وحصل على شهادة التخصص في (البرونكوسكوبي) و(الاسوفاسكوبي) وكانت تدرس من قبل الاستاذين الاب والابن المشهورين جاكسون وجاكسون.

اما عن اهم الذكريات التي مرت عليه منذ كان تلميذا حتى صار طبيبا والتي تستحق الذكر هو كيف صار صديقا في طفولته للامير غازي وكان اول من رأى الملك حين وفاته. كتب لنا رحمه الله قبيل وفاته يقول: (كنت في الصف الخامس الابتدائي بمدرسة المامونية وفي احد الايام نودي علي لحضور اجتماع في غرفة المدير وقرروا بتشكيل فرقة كشافة سميت بالكشافة الملوكية بناءا على طلب المسؤولين في ذلك الوقت ونسيت ان اكون رئيسا لها. وفي اليوم التالي ذهبت مع السيد جميل الراوي الذي كان رئيسا للكشافة في العراق الى البلاط الملكي لمواجهة الامير غازي وتدريبه قبل يوم من حضور الفرقة الى اعمارهم بين ١١–١٢ سنة وفعلا عمل الازم. وعند مواجهتي للامير لاول مرة رأيته مؤدبا، نحيفا وخجولا وفي نفس اليوم طلبت والدته مواجهتي فكان تصرفها كام ثانية لي واوصتني بالامير خيرا. حتى اضحى كاخ لي لكثرة مراجعتي واحتكاكي به فكانت الغرفة تجتمع به لاداء الحركات والالعاب الرياضية يوم الاثنين والخميس اسبوعيا وكان ينسب مع الاستاذ جميل الرواي قبل يوم من الاجتماع تدريبه، طلب مني ان ازوره في هذه الايام وذلك من قبل والدته وكت اذهب الى البلاط الملكي وكان هو ووالدته في انتظاري فكنا نلعب في الحديقة حتى صارت معاملة والدته لي كابنها رعاية وحبا ويقينا هكذا مدة اكثر من سنة).

لم يواصل الدكتور جلال فيقول:

(تخرجت من الكلية الطبية وكنت يوما خفرا في المستشفى وحوالي الساعة (١٢) ليلا استلمت مخابرة من الاستاذ صائب شوكت وكان مديرا للمستشفى طالبا مني وبسرعة تحضير ادوية ذكرها لي ونلك لحادث خطر للملك وهو بسيرته واتت سيارة ملكية تنقلني بسرعة شديدة للقصر الملكي وفي طريقي رأيت الحادث والسيارة وهي مرتطمة بعمود من الكهرباء معوج. فلما وصلت الى القصر واجهتني والدته وهي تبكي بحرقة قائلة اسرع فان اخاك مصاب فلما رايته قبل قدوم باقي الاطباء كان فاقدا الوعي وراسه مدمى وفيه كسر في مقدمة الراس وحالته خطرة او ميئوس منها وعند ذلك حضر كل من الدكتور صائب شوكت والدكتور سندرسن والدكتور ابراهام. وعند الفحص الكامل قرروا ان الحالة ميئوس منها وفعلا توفي بعد مدة قصيرة. فانتقلوا الى غرفة جلوس الملك واخذ سندرسن ورقة وكتب تقريرا لبداع على الشعب وكان حسب ما اذكر كما يلي:

نتعي بمزيد من الاسف وفاة صاحب الجلالة على اثر اصطدامه بعمود كهرباء. وقد كتبه طبعا بالانكليزية وطلب مني ترجمته فلما انتهيت من ترجمته قلت لسندرسن: لا يصح ان ننشر هذا التقرير من قبلنا بل من قبل الحكومة ويجب ان يكون تقريرنا وصف حالة الملك عند رؤيتنا له ووصف حالة الكسر وسبب الوفاة ولكن الدكتور سندرسن اصر على التقرير الذي كتبه وكان في وقتها طبيبا حديث التخرج واصر على ذلك الدكتور / صائب شوكت وفعلا وضع التقرير من قبلهم وفي صباح اليوم التالي اعرض على هذا التقرير كثير من الاطباء وكذلك رئيس شعبة الطب العدلي، وفعلا تم نقل جثة الملك من القصر الى البلاط وفحصت اللجنة الطبية مضافا اليها الدكتور / احمد عزت القيسي والدكتور / صبيح الوهبي واعيد الفحص عليه من قبل هذه اللجنة ووضع تقريرا اصوليا).

ثم يقول الدكتور جلال حمدي:

(يعتقد تقريبا جميع العراقيين ان الملك قد قتل ولكن للتاريخ نقول ان حادثة الاصطدام كانت قضاءا وقدرا ولو ان الملك كان مكروها من قبل الانكليز وحتى والدته تعتقد ان الحادثة دبرت من قبل الانكليز وتاكد لي ذلك عند دخول الدكتور سندرسن بصحبته الى الغرفة التي كان نساء القصر فيها ينوي معالجة من يحتاج للعلاج منهن فكانت ولدته تصرخ وتقول ان لا يقترب منهن بل يبقى جلال معهم حتى الصباح وفعلا شعر الدكتور سندرسن بذلك وترك القصر. وفعلا بقيت معهم حتى صباح اليوم التالي ثم ذهبت الى المستشفى الملكي لاداء اشغالي المعتادة).

ويواصل الدكتور جلال حمدي حديثه لنا فيقول:

(اما ما قرأناه في الجرائد بعد الحادث وما صرح به المؤرخون فلا صحة له (حسب اعتقاده) وكان الملك منذ حدوث الحادثة وحتى وفاته فاقد الوعي ولم يتكلم باية كلمة قطعا، وللمرة الثانية اقول ان حادثة موت الملك كانت قضاءا وقدرا ولو انه كان غير محبوب او مقبول من قبل الانكليز ولراحة ضميري اذكر ذلك). وعلى كل حال فان مقتل الملك غازي رحمه الله ضل موضع خلاف وجدل بين كل العراقيين والعرب فالغالبية تعتقد كان قضاءا وقدرا.

غير ان الوثائق السرية التي كشفت مؤخرا حول مطالبة الملك باعادة قضاء الكويت الى العراق وخصوصا ما اذاعه برنامج (السراب واليقين) الذي قدمه تلفزيون بغداد عبر حلقات اثبتت بما لا يدع للشك ان الملك رحمه الله مات مقتولا من قبل المخابرات البريطانية وعملائها. ولا شك ان المرحوم الدكتور جلال حمدي سليما قد قيم الموقف على اساس انه طبيب مشرف اولا، ولم تكن هذه الوثائق التي نشرت مؤخرا معروفة للناس يومذاك، فقد سرد لنا ذكرياته كطبيب لا كسياسي مطلع على بواطن الامور.

عن كتاب تاريخ اعلام الطب العراقي الحديث الجزء الثاني 1993

الخدمات الصحية العامة في العراق 1869-1914

الدكتورة لمى عبد العزيز
اكاديمية عراقية

يعود الفضل إلى والي الموصل محمد اينجة بيرقدار (1835-1843 م) في انشاء اول مستشفى رسمي في العراق وهو مستشفى "القشلة العسكرية" ، حيث كان الغرض الرئيسي من إنشائه تأمين الخدمة الصحية للفرقة (12) من الجيش العثماني الموجودة في الموصل ، وكان يدير المستشفى المذكور سنة 1310هـ/1892م عدد من اطباء الالوية وهم المقدم ديمتراكي ، والرائد عيسى والجراح اسماعيل افندي ، يساعدهم إثنان من الصيادلة ، ثم انضم للعمل معهم كل من الاطباء البنباش (المقدم) حسن بدري ومحمد أمين وبسبب ظروف الحرب العالمية الاولى والحاجة الماسة إلى مثل هذه الخدمات ، فقد ازدادت أهمية هذا المستشفى ابان تلك المرحلة.

مدحت باشا

نامق باشا

اما اول مستشفى عام في العراق فقد أنشاءه في بغداد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) الذي ادرك منذ الوهلة الاولى يتدهور الاوضاع الصحية ، فاحدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأت الحملة الاولى ضد التخلف والشعوذة والامراض المنتشرة بين الجميع آنذاك . ولما كانت خزينة الولاية لا تكفي لبناء المشروع المذكور ناشد مدحت باشا الاهالي بالتبرع لبناء المستشفى فانهالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء... عند ذلك تم تشييد هذا المستشفى الذي جرى افتتاحه سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وسمي بـ "مستشفى الغرباء" .

إحتوى هذا المستشفى على ٥٠ سريراً ، وضم عدداً من الاقسام منها قسم الامراض الباطنية وقسم الجراحة ، وقسم الامراض الزهرية ، فضلا عن جناح خاص للمساجين والمعتوهين والعواهر . فيما الحقت بالمستشفى شعبة بسيطة للاسعاف وكان العلاج في المستشفى مجانا . اما ادارة المستشفى فقد اسندت إلى دائرة البلدية الاولى . ويبدو ان هذا المستشفى لم يلق اقبالا عند افتتاحه بسبب تفضيل الناس لاساليب العلاج التقليدية القديمة . كما تم تخصيص هذا المستشفى للغرباء لذلك كان معظم الملتجئين اليه من الفقراء والمتسولين، إذ وجد بعضهم فيه المكان المناسب ليقضوا فيه بقية حياتهم .

واجهت المستشفى منذ بداية تأسيسها وحتى نهاية العهد العثماني ، صعوبات عديدة لعل في مقدمتها إفتقارها إلى الموارد الكافية لتأمين استمرارية عملها ، وأمام هذه المشكلة لجأت ادارة المستشفى إلى مناشدة الاهالي لبذل المساعدات المادية .

اما المشكلة الثانية التي واجهت عمل المستشفى فكانت الافتقار إلى الملاكات الطبية والادارية الكفوءة ، التي كانت احد اسباب اغلاق المستشفى لاكثر من مرة . حتى قيام والي بغداد قدري باشا ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، باعادة ترميم المستشفى وتأمين لوازمه من الادوية والمعدات الطبية ، الا ان الاهتمام لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تعرض للاهمال، لاسيما بعد نقل الوالي قدري باشا ، ثم انتهى امر المستشفى نهائيا سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، عندما نقلت محتوياته إلى المستشفى الذي انشأه نامق باشا –الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا– في حين تم نقل عائدية بناية المستشفى إلى دائرة المعارف حيث اصبحت بناية للمدرسة الاعدادية الملكية .

يعود الفضل إلى نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢م) في انشاء ثاني مستشفى في بغداد في جانب الرصافة . حيث جرى افتتاحه في ١٥ ذي الحجة ١٣١٨هـ/ ٥ نيسان ١٩٠١م واشتمل على عدة اقسام (باطنية ، جراحية ، عيون ، نسائية) ، وردهات خاصة للعمليات ، وقسم خاص للمجانين فضلاً عن صيدلية ملحقة به ومسجد ومطبخ وحديقة .

لقي المستشفى المذكور اهتماما كبيراً من الوالي نامق باشا الذي كان يطمح إلى جعله افضل من غيره ، لذا جلب له الادوية والمطهرات والآلات الجراحية من اوربا .

اما عن الهيئة الادارية للمستشفى فتألفت من مدير ووكيله وعاملين أخرين لمختلف الشؤون الادارية فضلاً عن مجموعة من الاطباء لمختلف الاختصاصات الموجودة في المستشفى امثال الدكتور نظام الدين للامراض الباطنية ، والجراح ذهني بك للامراض الجلدية ، وطبيب العيون سامي سليمان .وبغية ديمومة العمل في هذا المستشفى ، تم تشكيل لجنة مركزية اوكل اليها مهمة الاشراف على ادارة المستشفى ، ضمت في عضويتها طبيب دائرة البلدية الاولى ، ومعاون والي البصرة ، وعدد اخر من الاعضاء .

اما عن نفقات المستشفى فكانت ثلثاها تدفع من واردات البلدية ، اما الثلث الاخر فيجري استيفاؤه من الدائرة السنية وتحديدا من واردات التزام جسر الخر، وكانت الاصول المتبعة في ادخال المرضى إلى هذه المستشفى ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تؤيد فقر حاله قبل دخوله المستشفى .هذا وقد بلغ عدد المراجعين في الشهر الاول من افتتاحه (٨٤) مريضا ، شفي منهم (٤٣) مريضاً ،مات (٤) مرضى وبقي (٣٧) مريضا تحت المعالجة .

وابان ولاية نجم الدين ملا (١٩٠٨-١٩٠٩م) تم استرداد بناية مستشفى الغرباء الذي شيده مدحت باشا من دائرة المعارف، حيث نقلت اليه محتويات المستشفى الذي كان نامق باشا قد أنشأه ، وقام هذا الوالي باعادة اعمار المستشفى عن طريق تبرعات الاهالي ، وباسهام خاص منه ايضاً فيما تولت دائرة البلدية الثالثة مهمة الاشراف عليه ، الا ان المستشفى سرعان ما اخذ يتدهور بسبب افتقاره إلى الملاكات اللازمة إلى ان تولى الدكتور محمد كاني(×) ادارة المستشفى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م الذي كانت له اسهاماته في الارتقاء بواقع المستشفى من خلال توسيعه لقاعاتها ، والاعتناء بتنظيفها ، والتوسع في خدماتها العلاجية . فعلى سبيل المثال ارتفعت اعداد العمليات الجراحية التي اجراها اطباء المستشفى المذكور ، إذ قام الدكتور كاني وحده باجراء ما لا يقل عن ٦٠ عملية جراحية خلال شهر ايلول سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م .ولاول مرة في تاريخ العراق الحديث اسندت وظائف التمريض إلى بعض الراهبات الفرنسيات حيث كان ذلك احد أسباب زيادة إقبال النساء على مراجعة المستشفى المذكور.

وقد استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م ، حيث قام العثمانيون باخلائه ونقلوا كافة محتوياته وسجلاته واتلفوا بعضها ، اما الانكليز فقاموا بتحويله إلى مستشفى للامراض العقلية .

ويذكر وليس بدج الذي زار بغداد سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وجود مستشفى اهلي عائد إلى احد الاشخاص البغداديين كان يعالج الناس مجانا .

وفي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م صدر الامر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لانشاء مستشفى اخر في ولاية بغداد حيث جرى إفتتاحه سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م سمي بـ "مستشفى المجيدية" ، جرى تخصيصه لمنتسبي الجيش العثماني في العراق ، وكان يديره الاطباء العسكريون الملتحقون بالقطعات العسكرية العثمانية في العراق .

وقد جرت محاولات عديدة لتحسين المستشفى وتوسيعه منها المحاولة التي قام بها قائد الفيلق السادس (صدقي باشا) سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م . أستمر المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عندما اتخذته القيادة العسكرية للجيش البريطاني مقرا لمستشفاها العسكري تحت اسم المستشفى العسكري البريطاني الثابت رقم (٢٣) .

وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى افتتاح مستشفى اهلي في بغداد شيدها احد اثرياء اليهود ويدعى مستشفى (مير اياهو الياس) حيث عُدت من اخم المستشفيات وأكبرها آنذاك.

وهناك مستشفى (دار المعلمين) التي فتحت ابوابها للمراجعين في نيسان ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ، ومستشفى (السبع ابكار) التي أخذت تستقبل جرحى الحرب العالمية الاولى بشكل يومي .

اما بالنسبة للاقضية التابعة لولاية بغداد ، فاشارت سالنامة بغداد لسنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، إلى وجود مستشفى عسكري في قضاء الحلة ، تألف ملاكها الطبي من طبيب وجراح فضلاً عن ملاك وظيفي وعدد من موظفي الخدمة .

وكان هناك مستشفى اخر في قضاء كربلاء ، بطاقة استيعابية قدرها ٣٠ سريراً.

وأمام مطالب الاهالي بافتتاح مستشفى في قضاء النجف . صادق مجلس ولاية بغداد على تخصيص (١٥٠) الف ليرة من ميزانية الولاية لانشاء المستشفى المذكور . كما تقرر إنشاء مستشفيين في قضائي الكاظمية وسامراء على ان تستوفى تكاليف انشائهما من تبرعات الاهالي . الا اننا لم نعثر على اية اشارة تؤكد انشائهما هاتين المستشفيين .

اما بالنسبة لولاية البصرة فقد إفتقرت هذه الولاية وحتى العقد التاسع من القرن التاسع عشر إلى مثل هذه الخدمات ، ويبدو انه بناء على تعليمات وردت من استانبول ، إجتمع أعيان البصرة وكبار العسكريين والموظفين ، وتقرر جمع التبرعات لاقامة مستشفى تضم عشرين سريرا ودار للعجزة تكفي لايواء (٢٠) عاجزا . وخلال مدة ثلاثة اشهر ، جرى افتتاح المستشفى التي سميت بـ (مستشفى الغرباء) (غرباخسته خانه سي) ، وذلك في ٢٨ آب ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م في محلة عزالدين حيث بدأت بتقديم خدماتها للمراجعين من المرضى .

فضلاً عن ذلك ، كانت هناك مستشفى البحرية

مستشفى المجيدية في بغداد

المستشفى المدني في الكرخ

العسكري الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب في منطقة الصالحية ، التي اتخذت ايضا مركزا للحجر الصحي .

اما فيما يخص ولاية الموصل ففضلاً عن المستشفى العسكري ، اشارت سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م إلى وجود مستشفى اخرى في قضاء دهوك . فيما أشارت سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م إلى وجود مستشفى عسكري في كركوك . ومستشفى مدني في السليمانية . وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م تبرعت بلدية الموصل بانشاء مستشفى الغرباء في المدينة ، حيث عين فيها عدد من الاطباء العراقيين منهم الدكتور داؤد الجلبي ، والدكتور فتح الله غنيمة ، والدكتور عبد الكريم قليان .

ومن المهام التي اضطلعت بها هذه المستشفيات ايضا اجراء التلقيحات ضد الامراض المعدية إذ احتوت بعضها على شعب خاصة أوكل اليها القيام بهذه المهمة حيث عرفت هذه الشعب بشعب التلقيح "تلقيح خانة شعبة سي" وكمثال على ذلك شعبة التلقيحات التابعة لمستشفى الغرباء في البصرة ، وتألف ملاكها الوظيفي من مدير ، ووكيل مستحضر ، وكاتب وعدد من موظفي الخدمة . ثم اسندت هذه المهمة فيما بعد إلى دوائر الصحة التي دأبت على تنظيم حملات التلقيح ضد امراض الجدري والتيفوئيد ... وغيرها من الامراض . وعلى وجه الخصوص للموظفين وطلب المدارس الابتدائية والرشدية .ولم تقتصر حملات التلقيح ضد الامراض المعدية على مراكز الولايات بل تعدتها إلى العديد من الاقضية ، منها الديوانية ، سامراء ، مندلي ، كوت الامارة وغيرها من الاقضية الاخرى .

اما بالنسبة للصيدليات ، فقد ذكرت المصادر وجود عدد من الصيدليات توزعت على الشكل الآتي :

٦ صيدليات في ولاية بغداد . وصيدلية رسمية واحدة في البصرة هي (صيدلية البلدية) فضلاً عن عدد من الصيدليات الاهلية وهي صيدلية كريكور ، وعزيز افندي وسميح شالوم . ففضلا عن (٦) صيدليات أهلية في ولاية الموصل وهي صيدلية يوسف سنبل في سوق الشعارين ، وصيدلية عبد الله الحكيم في شهرسوق ،وصيدلية سليمان رمو في لدى العطارين .

علاج الاسنان في المستشفى العسكري بالبصرة

وصيدلية يوسف زبوني في سوق باب السراي ، وصيدلية نجيب قندلا مقابل السجن القديم . فيما اشارت سالنامة ولاية الموصل لسنة١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م إلى وجود صيدليتين في كركوك .

وكثيرا ما ارتبطت الصيدلية بوجود طبيب خاص يحدد وجوده في الصيدلية لتقديم العلاج للناس . وكان هناك تجار يقومون باستيراد الادوية من الخارج ، وكثيرا ما استغل باعة الادوية والعقاقير حاجة الناس المتزايدة لبضاعتهم ، فكانوا يبيعونهم الادوية التي انتهى امد صلاحيتها للاستعمال وباسعار عالية مما اجبر الكثير من الفقراء والمحتاجين على عدم شراء الدواء لضعف امكاناتهم المادية . في حين فضل الكثيرون الاعتماد على الاعشاب والوصفات الموجودة

وولاية بغداد لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ان دائرة صحة كربلاء ضمت ملاكا وظيفيا تألف من مأمورين وموظفين أثنين . فيما تكونت دائرة صحة خانقين من طبيب وثلاثة اعضاء، ومعاين للجثث الواردة من ايران فضلاً عن عدد من الموظفين . كما اشارت السالنامات العثمانية إلى وجود هيئات صحية في عدد من الولايات العراقية ومنها ولاية بغداد التي تكون ملاكها الوظيفي من وكيل مفتش الصحة ، وعدد من الاطباء بضمنهم طبيب بيطري ، ومأمور اعاشة وقابلة . في حين تكونت الهيئة الصحية لولاية الموصل من مفتش للصحة وطبيب البلدية ، وطبيب بيطري ، ومأمور الاشغال والقابلة . اما عن الدور الذي اسند إلى هذه الهيئات فيبدو انها مارست نوعا من التفتيش الدوري للادارات الصحية الفرعية .

وتقتضي الضرورة هنا الاشارة إلى ان هناك اطرافاً اخرى اسهمت في تقديم الخدمات الصحية في العراق إلى جانب السلطات العثمانية ، ولاسيما الارساليات التبشيرية فقد كانت الخدمات الطبية في طليعة الخدمات التي قدمتها الارساليات التبشيرية التي وفدت الى العراق ، إذ ادرك اعضاء هذه الارساليات ... ان تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتأمين الاحتكاك المباشر بالناس ، وبالتالي تأمين الوصول إلى الغايات التبشيرية لان الناس كانوا يومذاك ، بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات ، والى ذلك يشير احد اعضاء هذه البعثات بقوله "ان الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يملكان ترخيصا يفتح امامهما الابواب المغلقة" .

ولعل ابرز تلك النشاطات نشاط الاباء الدومنيكان الذين قدموا خدماتهم الطبية لاهالي الموصل ، بعد مدة قصيرة من تأسيس وارساليتهم فيها سنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م ، إذ برز منهم طبيبان ايطاليان هما الاب فرنسيسكو توريانى " Turriani " والاب دومنيكو كوديليونشني "Codeleoncini" حيث استقبلهم الجليليون وافسحوا لهم مجالاً ودافعوا عنهم ، ولم تقتصر خدماتهم الطبية على مدينة الموصل فعندما مرض احد اقرباء حاكم العمادية ارسل امين باشا الجليلي (١٧٥٢-١٧٥٥م) الاب توريانى لمعالجته

ردهة الامراض الباطنية في المستشفى الملكي

رشيد الخوجة اول متصرف لبغداد

رائد راشد الحياني
باحث اكاديمي

استقبل رشيد الخوجة في بغداد عقب وصوله اليها في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠ ، استقبالاً شعبياً ورسمياً حاراً ، وقد بينت صحيفة ((الاستقلال)) في عددها دوره الوطني ، الذي قضاه في خدمة القضية العربية كما وتحدثت عن المناصب التي شغلها في الدولة العثمانية والحكومة العربية بدمشق .

ونظراً لمسيرة رشيد الخوجة النضالية ودوره الوطني في خدمة القضية العربية ، فقد أسندت ((وزارة الداخلية)) ، في الحكومة العراقية المؤقتة ، له منصب متصرفية بغداد في العاشر من كانون الاول عام١٩٢٠.

وكان لطالب النقيب ، وزير الداخلية والصديق الحميم لرشيد الخوجة ، دور في إسناد متصرفية بغداد للخوجة على الرغم من ان اختيار الاشخاص للمناصب الإدارية انذاك لم يكن مرهوناً بموافقة وزارة الداخلية او مجلس الوزراء فحسب ، بل كان لا بد من مصادقة المندوب السامي البريطاني برسي كوكس ((Percy cox)) ، له .

عندما باشر رشيد الخوجة منصبه في متصرفية بغداد ، قام اولاً بالتعرف على متصرفيته واحتياجاتها ومن ثم اعداد الدراسات والجداول الخاصة بها والبحث عن الوسائل الممكنة لتطويرها من جميع النواحي لاسيما النواحي التربوية والصحية . كان لرشيد الخوجة دور واضح في معالجة المشاكل التربوية ايمانا منه بأهمية التركيز على ثقافة النشيء الجديد لانه ،برأيه ، يمثل الأداة التي سوف تقود دفة الإدارة والحكم في البلاد ، لذلك قام بزيارة عدد من مدارس بغداد ، حيث زار دار المعلمين العالية وقد صحبه في جولته هذه مدير المعارف العام عبدالله بك تفقد فيها الصفوف الدراسية ووقف على طريقة التدريس وتحدث مع الهيئة التدريسية في الشؤون التربوية والتعليم ، وحث في كلمة له الطلبة على زيادة طلب العلم وحذرهم من الاكتفاء بما يتلقونه من معلومات في مدارسهم ، بل شدد على ضرورة المطالعة الخارجية موضحاً لهم حاجة البلاد الى العلم والتهذيب في أن واحد ، لانه ((السلاح الوحيد الذي يستطيع بواسطته مقاومة الانحطاط والخمول)) ، فضلاً عن قوله :- ((اننا بامس الحاجة الى جيش جرار من المعلمين والمهذبين ليغيرون على معاقل الجهل ويقوضون اركانه ويرفعون للحضارة والرقي أعلاماً زاهرة عالية)) .

كان رشيد الخوجة يدرك اهمية العلم واثره في نهضة الامم ورقيها ، لذلك كان يؤكد على الاهتمام بدار المعلمين العالية ، لانها ، تعد في ذلك الوقت، من المؤسسات التعليمية المهمة في البلاد ، كما كان يتابع باستمرار المناهج التعليمية في المدارس الابتدائية والثانوية ، ففي احدى زياراته لمدرسة البارودية اطلع على جدول الدروس الاسبوعي وتصفح بعضاً من الكتب المقررة ، وقام بالتجوال في صفوفها مؤكداً على هيئتها الادارية ضرورة التزام النظام ، وحث الطلبة على متابعة السعي وراء العلم والثقافة ، وأكد أنه على استعداد للمساهمة في أي عمل يمكن القيام به من أجل تطوير وتوفير جميع المستلزمات الضرورية للمدرسة .

أخذ رشيد الخوجة يعنى عناية واضحة بالمدارس الأهلية لذلك فقد حظيت تلك المدارس بزيارته ، ففي زيارة له قام بها للمدرسة الجعفرية في الكاظمية ، اثناء اجراء الامتحان العمومي ، امتحان نهاية العام الدراسي ، قام بالتجوال في الصفوف متابعاً سير الامتحانات للاطلاع على كيفية مراقبة الطلبة موجهاً اياهم على ضرورة عناية بطلب العلم والمعرفة فضلاً عن زيارته للعديد من المدارس الأخرى .

لم يكن اهتمام رشيد الخوجة مقتصراً على الشؤون التعليمية والثقافية في المتصرفية فحسب ، بل كان يولي عناية كبيرة وواضحة لشؤون المتصرفية الأخرى ، المتعلقة بحفظ سلامة الناس ، فعند أجراء إطلاق المدفعية لبعض الطلقات أثناء التمارين التي كانت تقوم بها كتيبة المدفعية العراقية حدثت بعض الإصابات بين صفوف المواطنين لذلك كان رشيد الخوجة يحذر المواطنين عن طريق الصحف بضرورة الابتعاد عن اماكن الخطر.

بحكم وجود رشيد الخوجة على راس متصرفية بغداد قام باعداد الاجراءات المناسبة لاستقبال الامير فيصل بن الحسين ، عندما كان في طريقه الى بغداد ليتوج ملكاً على العراق ، والذي وصل الى البصرة على ظهر الباخرة البريطانية نورث بروك North Brock ، في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢١.

شارك ناجي السويدي الذي وصف بانه من اكثر المؤيدين لفيصل رشيد الخوجة بالأعداد لحفل استقبال الأمير في بغداد حيث وصلها في السابع والعشرين من حزيران ١٩٢١، وقد حضر الحفل نحو خمس مئة شخص من جميع شرائح المجتمع الذين رحبوا بالأمير وعبروا له عن اعتزازهم بالعائلة الهاشمية، في حين تباينت ردود الافعال في بقية الالوية الأخرى .

كانت بريطانيا تسيطر على جميع شؤون العراق وتديره عن طريق المندوب السامي ، ولما كان الامير فيصل يحظى بدعمها فقد اجتمع ((مجلس الوزراء)) في بغداد بجلسته المنعقدة في الحادي عشر من تموز ١٩٢١ ، ونادى بالأمير فيصل ملكا وبقيام حكومة ديمقراطية دستورية ، وعند رفع المجلس القرار المذكور الى برسي كوكس للمصادقة عليه رفضه بسبب إصراره على اخذ موافقة الشعب على تتويج فيصل ملكا على العراق . لمنع قيام معارضة شعبية ضده ، لذلك فقد اوصى مجلس الوزراء اتخاذ وزارة الداخلية الى جميع المتصرفين في الألوية العراقية لأجراء استفتاء للتصويت على ملوكية فيصل ، وذلك من خلال ضابط خاصة أعدت لهذا الغرض ، وقد دعا رشيد الخوجة من جهته مختاري المحلات في متصرفيته وشدد عليهم ضرورة اتخاذ الإجراءات المناسبة لأجراء التصويت في العاصمة بطريقة قانونية وشرعية ، على ان يكون هذا التصويت يوم الجمعة التاسع والعشرين من تموز عام ١٩٢١ ، وقد قام بتوزيع بطاقات الدعوة على أشراف ووجهاء العاصمة للحضور الى ردهة سينما رويال لأطلاعهم على نتائج التصويت العام وللاستماع الى قرار مجلس الوزراء المتعلق بالمناداة بالامير فيصل ملكا على العراق والوقوف على اراء الناس والمدعوين على هذا القرار .

القى رشيد الخوجة في صباح ذلك اليوم خطاباً اوضح فيه ((سعادة الامة وابتهاجها بقدوم الامير فيصل)) الى العراق وبين فيه الإحتفالات التي اقيمت له مما كانت الا تعبيراً عالياً عن تقدير ((الامة لرجالها الذين جاهدوا في سبيل القضية العربية)) وآمالها القومية.

قام رشيد الخوجة باطلاع الحاضرين على قرار مجلس الوزراء الخاص بجعل فيصل ملكاً دستورياً على العراق ثم سأل الحاضرين عن رأيهم ان كانوا مؤيدين ام معارضين حفاظاً على سلامة الإجراءات وليتيح الفرصة لكل شخص بالتعبير عن رأيه .

كان لرشيد الخوجة دور واضح ومعبر عما كان يدور في نفسه ، من ضرورة تعبير المقترعين عن آرائهم دون أي ضغط او شروط ، لذلك فقد علت بعض الأصوات تقترح إضافة بعض الشروط او التحفظات على صيغة البيعة ،لكي يمكنهم ذلك القبول بالأمير فيصل ملكاً على العراق بموجب تلك البيعة .

هنا وفي وسط هذا الموقف الحاسم من تاريخ العراق ، لم يكن من رشيد الخوجة ألا رفض الانصياع إلى طلب الحكومة بالتصويت دون أي شرط ، فخاطبَ الحاضرين بقوله :- ((ان المضابط بايديكم فضعوا عليها ما تشاؤون من الشروط)) .

ابدى المصوتون تفاؤلاً بما قاله رشيد الخوجة فوضعوا الشروط التي رأوها مناسبة لهم والتي كانت تعبر عن طموحاتهم وامالهم وتضمن حقوقهم .

وبعد ان انهى الحاضرون التصويت عملت لجنة الاستفتاء على تلخيص المقترحات والاراء التي ادخلت على النص الاصلي فقام رشيد الخوجة بقراءة النص المعدل على الحاضرين وكان على ما ياتي:- ((اجتمعنا فصوتنا بأجماع الرأي العام على تتويج الامير فيصل ملكاً على العراق بحدوده الطبيعية ، على ان يكون ملكا دستورياً ويرأس حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مستقلة ومجردة من كل قيد ، ومنقطعة عن سلطة الغير ، ولابد ان يكون اول عمل تقوم به هو تشكيل وجمع المؤتمر الذي يسن القوانين والدستور في مدة ثلاثة شهور لاستلام زمام الأمور)) .

من خلال العرض السابق يظهر الدور البارز لرشيد الخوجة بالأخذ بمقترحات الشعب بغض النظر عما تحددهُ سلطة الانتداب البريطاني في صيغة البيعة ، وكان يطالب بالحرية الكاملة للشعب في اختيار من يرأسه وبالشروط التي توافق وتحقق المصلحة العامة ، ولا ننسى تأثير الصداقة العميقة التي كانت تربط الخوجة بطالب النقيب وما كان لها من دور في اتخاذه لهذا الموقف .

امتعضت السلطات البريطانية للشروط التي وضعت على صيغة البيعة في المتصرفية ، لاسيما الشرط الخاص بعدم قبول ملوكية فيصل الا في حالة ان يكون بعيداً عن اية سلطة اجنبية، واصفة العناصر التي حرضت على وضع هذه الشروط وغيرها بانها عناصر متطرفة .

يظهر ان الموقف الذي وقفه رشيد الخوجة من بيعة الملك فيصل قد اغضب السلطات البريطانية ، لذلك أجمعت المصادر على ان سبب استقالة رشيد الخوجة من منصبه في الثالث عشر من ايلول ١٩٢١ بسبب موقفه من الاستفتاء الذي حصل على ملوكية فيصل في العراق ، سيما قيامه بمخالفة امر الحكومة بعدم اضافة اية شروط او مقترحات على صيغة البيعة التي أعدت اساساً ببطاقات لا تقبل التعديل او الاقتراع.

اختير رشيد الخوجة متصرفاً لبغداد ، مرة اخرى ، في الخامس من تشرين الثاني ١٩٢٣ ، ويبدو ان سبب تعيينه للمرة الثانية يتعلق بمعرفته الدقيقة بإدارة أمور بغداد ولاسيما ان متصرفية بغداد تتمتع بأهمية سياسية وادارية واقتصادية وما الى ذلك لكون بغداد وهي عاصمة البلاد،لابد لمن يديرها ان تتوافر فيه العديد من المزايا الادارية التي كان رشيد الخوجة يتمتع بها ، من بينها اسلوبه الحازم في متابعة الامور ومعرفته السابقة بشؤون المتصرفية ، فضلا عن إخلاصه لوظيفته ، وقد سعى رشيد الخوجة الى تحسين نواحي الحياة في المتصرفية ، مثل تحسين الأمور المعيشية والصحية وحالة الطرق والعناية المتزايدة بالتعليم والإدارة الموجبة للتطور . وهذا التعيين يدل من جهة اخرى على جانب مهم من حياة الدولة العراقية الحديثة اذ لم يكن ينظر الى الشخص المعين من ناحية موقفه من رئيس الدولة بقدر ما كان ينظر الى كفايته ودرايته .

منح رشيد الخوجة صلاحيات عديدة في المتصرفية كونه شخصية معروفة ومجربة ، لذلك قام بالنيابة عن الملك فيصل في استقبال بعض الشخصيات المهمة على الصعيد العربي والدولي على السواء بصفته نائباً عن الحكومة العراقية .

تقدمت الحكومة البريطانية بمشروع معاهدة ١٩٢٤ ،التي كان ظاهرها الاستقلال وباطنها الانتداب والحكم المباشر ، الى الملك فيصل والحكومة العراقية لاجل التصديق عليها وأرفقت مع المعاهدة ، لاجل المساومة ، مشروع القانون الاساسي تنشأ بموجبه حكومة برلمانية وملك مقيد بدستور ، وهذا ما اثار الوطنيين وقاموا بتعبئة وأستنفار القوى الوطنية والشعبية لإحباط المشروع البريطاني .

كانت متصرفية بغداد معقلاً للحركة الوطنية ،لوجود فئة مثقفة واسعة فيها وذات تاثير كبير ، سيما من المحامين الذين عقدوا اجتماعاً لهم في التاسع من نيسان ١٩٢٤ ، في احدى دور السينما بحثوا فيه المعاهدة وملحقاتها ، وعندما لم يتوصلوا الى قرار ، قرروا عقد اجتماع آخر في احد فنادق العاصمة .

قدم المحاميان داوود السعدي ورشيد رشدي طلباً الى متصرف بغداد رشيد الخوجة لاقامة اجتماع في فندق الهلال في محلة الميدان مساء يوم الجمعة الحادي عشر من الشهر نفسه ، ولما لم يكن رشيد الخوجة بمعزل عن الحركة الوطنية المتصاعدة انذاك فانه لم يتوانى عن الاستجابة لهذا الطلب من دون الرجوع الى وزارة الداخلية ، حيث منح الأذن لاقامة الاجتماع ولكن وزارة الداخلية عندما علمت به أصدرت أوامرها بمنع إقامة الاجتماع وزيادة في الاحتياط فان الوزارة طلبت من صاحب الفندق المذكور ، عدم السماح للمجتمعين بالدخول الى فندقه في ذلك اليوم بكل السبل الممكنة.

على الرغم من أن رشيد الخوجة لم تكن له مسؤولية دخل في منع عقد الاجتماع ، فقد اعترض بعد أعضاء المجلس التاسيسي على أجراءه ومنهم عبدالرزاق الرويشدي ، نائب الحلة ، لانه منع الاجتماع على حد زعمه ، وفي مقابل ذلك قام المحاميان السعدي والرويشدي بعقد الاجتماع في مساء الثامن عشر من نيسان في سينما رويال ، وفي المكان نفسه الذي جرى فيه التصويت على تنصيب فيصل والذي كان سبب استقالة رشيد الخوجة من منصبه عام ١٩٢١ . وهكذا فقد اقيم الاجتماع والقيت الخطب الحماسية التي قابلها الجمهور بمزيد من الحماس الوطني .

في الخامس عشر من ايلول ١٩٢٤ ، ترك رشيد الخوجة متصرفيته بغداد ليعين امينا للعاصمة ، ويبدو ان ذلك يعود الى السبب نفسه الذي ادى الى استقالته الاولى من منصبه وهو التضامن مع الحركة الوطنية المتصاعدة سيما وان نشر القانون الاساسي كان على الابواب .

ظل رشيد الخوجة يمارس دوره الوظيفي بهمة ونشاط ولكن في مكان اخر بعيداً عن العاصمة بغداد .

ناجي السويدي

فيصل الاول

طالب النقيب

حادثة بريد الكاظمية (دكة البريد)

جعفر لبجة

لما كانت المقابر تضم رفاة الآباء والأجداد، فأنها تعتبر من الصلات الحميمة في حياة الأبناء والتي تبقى مستمرة احياءا لذكراهم ، وان أي حدث أو تغيير معلم من معالم تلك المقابر هو مساس بكرامة الأحفاد ، ناهيك عن قدسية المقابر وعدم التجاوز عليها.

ففي مدينة الكاظمية المقدسة كان هناك تلا يدعى (تل الأحمر) اتخذه المواطنون مقبرة لهم منذ الأزل ، وفي عام ١٩٣٥ عملت الحكومة على إقامة دائرة للبريد على جزء منه ، مما حدى بأهالي المدينة إلى مقابلة قائمقام القضاء بأن هذا الأمر يعد مساس بكرامتهم ورفع شكواهم إلى الجهات المعنية ، حيث وعدهم بدراسة الأمر واتخاذ مايلزم بشأن طلبهم، ولما كان مدير شرطة الكاظمية على علم بالموضوع ، فقد قام بإخبار مدير الشرطة العام المدعو وجيه يونس بمجريات الأمور ليكون على أهبة الاستعداد.

وعند خروج أهالي مدينة الكاظمية إلى مكتب القائمقام ، وجدوا أن العمل مستمر بإنشاء البناية وأن وعود القائمقام كانت وعودا واهية وتخديرا للأعصاب فانبرى شباب المدينة إلى إزالة معالم أسس ذلك البناء ، وهنا حصل شجار بالأيدي بين أفراد الشرطة والأهالي ، حيث أوعز القائمقام ومدير الشرطة الاستعانة بالقوة المسلحة التي كانت مهيئة أصلا بفتح النار العشوائي على المواطنين الذي أودى بحياة الكثير منهم ، وان البيان الذي أصدرته وزارة الداخلية في اليوم التالي كان يشير إلى سبعة قتلى وتسعة جرحى من الأهالي ، وقتل شرطي واحد وجرح مفوضين وشرطيين آخرين .

والحقيقة إن البيان قد اقتصر على القتلى الموجودين في ساحة المعركة فقط .

فالصحف المحلية كانت تشير إلى إن عدد القتلى هم (١٣) مواطناً إما الجرحى منهم ثمانون . والأكثر من هذا كله فهناك جرحى آخرين استشهدوا فيما بعد ولم يتمكن أهاليهم بالإعلان عنهم خشية الإجراءات القمعية التي اتخذتها السلطة الحاكمة ناهيك عمن أصابهم العوق كبتر الساق أو اليد وهذا ما وجدناه في الحاج علي لبجة رحمه الله (عم كاتب المقال) الذي بترت يده جراء الهجمة المذكورة . حيث تعرض الحاج علي لبجة إلى قطع يده ، لذلك كان تجواله في المدينة بعد الحادث بمثابة شاهد عيان على العصر للإحداث الإجرامية التي ارتكبت في العهد الملكي ، ولم تقف السلطات المحلية إجراءاتها فقد قامت باعتقال العديد من أهالي الكاظمية للتحقيق معهم حول الحادث المذكور والذي انتهى بسوق كل من صادق الحاج احمد الاستربادي ونجم موسى راضي وحسين إبراهيم حباشة وعبدالامير عبود شمارة وإبراهيم بن احمد وحسن المرتضى الخالصي وعلوان بن السيد سلمان إلى المحكمة الكبرى ببغداد والتي حكمت عليهم بالإشغال الشاقة المؤبدة وذلك استناداً لقانون العقوبات البغدادي .

وفي ضوء هذه الحالة المأساوية التي لايرتضيها احد قام بعض الأخيار من أعضاء مجلس النواب ووجوه العراق المعروفين والذين تمثلوا بكل من السيد حسن مكوطر الحسيني والسيد جعفر أبو طبيخ وعلوان الحاج سعدون وشعلان السلمان وحساب الحمادي والحاج راجح العطية وعباس العلوان وعواد الحاج جاسم وحاج حمود البدن ومطلق العبطان وحسين الزغير ومتعب المحمد وحمود آل حمادي وجساب الحمادي برفع رسالة احتجاج إلى جلالة ملك العراق المعظم غازي الأول حيث جاء فيها (نرفع لأعتابكم إحزاننا وإشجاننا بما أصاب أبنائك وإخواننا الكاظميين من المذابح بصورة وحشية بدون مبرر الأمر الذي دعانا لرفع هذا الاحتجاج تجاه وزارة لاتمثل الانفس افتتحت إعمالها بما تنطوي عليه نياتها العدائية التي دعت الشعب بتهيج واضطراب) . وقد تقبل جلالته الاحتجاج المذكور بصدر رحب حيث اصدر إرادته الملكية السامية في ١٩٣٥/٩/٤ بإعفاء المحكومين المار ذكرهم آنفاً عما تبقى من محكومياتهم وأطلق سراحهم في الحال .

وقد ذكرت هذه الحادثة في موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي وعبد الرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الوزارات العراقية) وأمين المميز في كتابه (بغداد كما عرفتها) .

مدن وذكريات

الدغارة

باسم عبد الحميد حمودي

جسر للمشاة يعبر نهراً في منطقة الدغارة في محافظة الديوانية

على بعد عشرين كيلو متر من الشمال الشرقي من مدينة الدّغارة ينشطر نهر الفرات الى فرعين احدهما يستمر الى الدغارة – سومر –عفك –آل بدير والثاني يتجه الى الجنوب غربا تحت اسم نهر الديوانية ليمر بمركز اللواء (المحافظة) ثم يدخل مدنا شتى (الرميثة والحمزة مثالين) قبل الوصول الى السماوة.

قصر الملك

في مكان أفتراق فرعي الدغّارة والديوانية حيث ما اصطلح عليه بصدر الدغارة أقيم منزل من الطابوق يتكون من صالة واربعة غرف وساحة مسيجة فيها بعض النخيل وشتلات الورد وقد سمى الناس والدولة هذا المنزل ب (قصر الملك) وهو ليس من القصور في شيء بل هو مكان لراحة مؤقتة أو مقر للصيد بني لراحة الملك غازي الاول واستخدمه الوصي عبد الاله مرارا ،اصطحب الاثنان بعض الاميرات لتبديل جو القصور الملكية الكئيبة .

بعد ذهاب الملوكية (والملوكية هي العبارة الادق لغويا بدل الملكية) بقى (القصر) يندب حظه وتحول الى بناء متروك لايهتم به أحد الامادر وقد زرته مرارا وأنا في طريقي الى بغداد من الدغارة مباشرة الى مدينة القاسم ومنها الى شارع الحلة –بغداد وكان ذلك في الاعوام ٦٤- ٧٣)

قريبا من بربوتي

قبيل السماوة (مركز محافظة المثنّى) بكيلومترات قليلة وقريبا من جسر بربوتي يلتقي فرات الديوانية بالجزء الأخر من الفرات الذي انشطر عنه عند سدة الهندية وللفرات حكاية أوسع نرويها يوما ولكننا نحاور الدغارة اليوم ، المدينة والتاريخ والناس

الدغارة - عفك

الدغّارة ناحية تتبع أداريا قضاء عفك الذي يبعد عنهاباكثر من ٣٧ كم جنوبا رغم انها تقع على مسافة ١٧ كم من مركز المحافظة،وقد صنع هذا الربط الاداري نوعا من الضيق عند سكان الدغارة الذين يضطرون للسفر الى عفك لاكمال معاملات التجنيد والنفوس والعقار والتعديلات التي تجري على هويات الاحوال المدنية من نقل الى تسجيل وقائع ولادة أو زواج .. الخ

كيف السبيل فى أرض موحلة ؟!

وفي الزمن الذي اتحدث عنه (بين عامي ١٩٦٤ – ١٩٧٣) كان الشارعين الرئيسيين بين الدغارة – الديوانية و الدغارة –عفك ترابيا فاذا حدث أن أمطرت السماء تحولت كل الطرق الترابية الى أوحال وربطت سيارات الشرطة وبعض سيارات المتنفذين على دواليب سياراتهم الزناجيل لمنع الطين من الالتصاق،و جعل السيارات تتحرك وسط الاوحال التي تمنع دواليب السيارات الاخرى من الحركة.

كان طريق الدغارة–عفك يجاور النهر فاذا كنت تسير على الجانب الايمن من النهر ودعت الدغارة من مضايف آل شبانة (رأس الاكرع) متجها الى ناحية سومر(التي تبعد عن الدغارة سبعة كيلومترات واسمها الشعبي جلعة شخيّر) وتخرج منها الى مضارب احفاد الشيخ صلّال الموح (أحد أبطال ثورة العشرين) منطلقة الى مركز القضاء والبساتين قريبة منها وأذا أتخذت السيارة الجانب الايمن من النهر وجدت الكثير من التفاصيل ووجدت كذلك أن توزيع السكان في هذا الجانب تتداخل فيه علاقات الريف بالمدينة فالمجتمع داخل المدينة مجتمع مديني ذو خلفية عشائرية شديدة التأثير .

عشائر وسادة

والتوزيع العشائري يتداخل فيه الريف بالمدينة بما جاورها من نواح وداسكر : السادة المحانية الذين يسكنون جلعة شخيّر (ناحية سومر) يرتبطون بقبائل السعيد (بكسر السين) الذين يمتد نفوذهم الزراعي حتى بادية النعمانية ويسكن الى جوارهم السادة العواودة (أو العوادين) الذين يسكن بعضهم الدغارة ويتركزون في مزارعهم وبساتينهم القريبة وعلى مسافة بضعة كيلومترات عن المدينة ويمتد نفوذ العواودة الى المشخاب وابي صخير .

في الزمن الذي اتحدث عنه (بين عامي 1964 – 1973) كان الشارعين الرئيسيين بين الدغارة – الديوانية والدغارة –عفك ترابيا فاذا حدث أن أمطرت السماء تحولت كل الطرق الترابية الى أوحال وربطت سيارات الشرطة وبعض سيارات المتنفذين على دواليب سياراتهم الزناجيل لمنع الطين من الالتصاق،و جعل السيارات تتحرك وسط الاوحال التي تمنع دواليب السيارات الاخرى من الحركة

يتفرع من المحانية فرع السادة آل رولان ويتداخلون مع حدود عشيرتي آل شبانة (زعماء عشائر الاكرع) و الهلالات غربي نهر الدغارة بينما يمتد نفوذ العواودة الى عشائر البو نايل الذين يسكنون الجوانب الشمالية من نهر الدغارة .

تتألف عشائر ناحية الدغارة من أربعة أقسام رئيسية هي :

أ – آل شبانة : وهم من سلف الاكرع (وهم الزعماء ومضاربهم في الضفة الشرقية من النهر)،وآل حاج حمزة(ويسكنون الضفة الغربية من النهر)ومنهم آل شعلان ،وآل شاطي وآ لبو خزعل والمجرولين(وكلهم يسكن الضفة الشرقية من النهر) وآل حاج حمزة الذين يسكنون الضفة الغربية .

ب–آل عمر(يفتح العين)والهلالات – وهؤلاء يسكنون المدينة الرئيسية – وينتشرون في الجزء الغربي من المدينة ويمتد وجودهم حتى حدودالديوانية محاديين آل حمد والمجرولين في وقت تسكن فيه جماعة الحاج جاسم الحاج علي من الهلالات بمحاذاة آل شعلان في الضفة الشرقية من النهر

ويسكن آل عمر الجزء الشمالي من طريق الديوانيةحتى يصلوا البو نايل ويسكن الهلالات الجزء الجنوبي من ذلك الطريق محاديين آل الحاج حمزة ومرمض وعشائر عفك جنوبا

ج– السعيد: (بكسر السين) وهم مجموعة من قبائل تتبع سلف زبيد وينتشرون في الجزء الجنوبي الشرقي من أراضي الدغارة (والسلف مجموعة من القبائل وكل قبيلة

تنقسم الى أفخاذ وكل فخذ الى بيوت) ومركز السعيد الرئيسي ناحية سومر وهي مركزتموينهم

د –البو نايل : وهم من الاكرع وأشهر أفخاذهم البارزة آلبو ناهض ،وآلبو ركة(بالكاف الفارسية) والبو ركة يصلون بتجمعاتهم السكانية الى ناحية السنية التي تقع شمالي الديوانيةأما البوناهض فيجاورون ناظم صدر الدغارة .

الدغارة تتكون من كل هذا النسيج الاجتماعي وكان ثقلها العمراني في الستينات من القرن الماضي يقع في الجانب الغربي من المدينة التي تقع الحسينية الرئيسية فيها قريبا من النهر في هذا الجزءفي نهاية شارع الخنساء فاذا أنهيت المرور بالحسينية سيرا مع جريان النهر وصلت الى بيت السيد عبد الكريم شبّر ممثل المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم حيث كان بيته ملتقى الطبقات المتعددة بعد صلاة العشاء ومن يراجع دار ابي ضياء لايجد الاكرم الحفاوة وتلبيةالسؤال الذي غالبا مايكون شرعيا ، فاذا خرج السائلون بقي الخلان ردحا من الوقت ليسمروا .

كانت ديوانيات السمر في الدغارة تتمثل في مضايف آل شعلان و الهلالات (شرقي وغربي المدينة) وبيوت الحاج عبد الرزاق الحمد ومال الله السيد عيسى والسيد هاتف القويزي وسواهم من كرام الرجال.

المدارس والتعليم

على مستوى التعليم كانت المدارس الابتدائية داخل المدينة قليلة نسبيا للبنات والبنين وكانت هناك مدرسة ثانوية واحدة للبنين ومدرسة متوسطة للبنات ،وظل الدغاريون يسمون ثانوية الاولاد (المتوسطة) زمنا لانهم اعتادوا هذه التسمية منذ تأسيس الدراسة فيها في الخمسينات حيث ظلت متوسطة حتى عام ١٩٦٤ ليسمح بتغيير درجتها الى ثانوية ويفتح الرابع الادبي فيها وبذلك استطاع الطلبة الالتحاق بهذه الثانوية وصار من حق خريجي الدراسة المتوسطة المفاضلة بين الدراسة الاعدادية و بين دار المعلمين الابتدائية واعدادية الصناعة وثانوية الزراعة وهذه المدارس الثلاثة موجودة في الديوانية ، ليستطيع هؤلاء الدراسة – فيما بعد– بالكليات الانسانية وقد تطلب الامر سنوات حتى فتح الفرع العلمي في الثانوية عام ١٩٧٠ ليستطيع الطلبة دخوله والتخصص بعد هذا بالدراسات الطبية والهندسية وما اليها .

عانت البنات بعد دراسة المتوسطة الكثير و الكثير منهن دخلن دور المعلمات او الفنون المنزلية بالديوانية مستفيدات من الاقسام الداخلية هناك والقسم الأخر التحقن بالمدرسة الثانوية مع الاولاد وخصصت الادارة لهن غرفة خاصة للجلوس في الاستراحات. وتخرجت فيهن الطبيبة والمهندسة والمدرسة والصيدلانية وخريجة المعهد المتخصص الاسواق والمحلات والشوارع

كانت الدغارة – المدينة الاساسية تقع غربي النهر وتحوي على شارعين رئيسيين يبدأ الاول من الجسر ويسمّى شارع السراي ليصل الى الساحة المقابلة للسراي وبخط متعامد مع الشارع مطلا على النهر ويقع على الجهة اليمنى سوقان، أحدهما على ضفة النهر مباشرة ويتكون من بعض الدكاكين ومقاهي النهر القريبة من صيادي النهر وتقع خلف هذا السوق سوق اخرى مسقفة في مقتبلها دكاكين البزّازين والعطارين والى يمينها دكاكين باعة الفاكهة والخضرة يشد عن ذلك كشك (سلمان)بائع الفاكهة المقام عندرأس السوق قريبا من الجسر وهومنادي ومثمن الفواكه والاحمال القادمة من الارياف القريبة. الشارع الرئيسي الثاني الموازي لشارع السراي هو شارع الخنساء ويبدأ من مبنى الحسينية المطل على النهر صعودا الى

جسر بربوتي

هو السائق الذي ضحى بدوره في العودة وباجرة السيارة كاملة .

والظاهر أنه أستحلف الفرّاشين الا يبوحوا بسره في وقت أحاط المدرسون بالحاجة الوالدة التي تذكرت فجأة أنها كانت من الاسرة التعليمية في الاعوام ٣٥-٤١ في الناصرية وبدأت بروايةذكرياتها التعليمية ومراقبته بشكل افضل مع بقاء سيف المحاكمة لعدد من مدرسي الثانويةالذين ارتاحوا لحديثها ولم يوقف الحديث الا دق الجرس وذهابهم الى الصفوف فيما صحبت المرحومة الى البيت الذي كان لايبعد عن المدرسة الا مائة متر فقط !

الثانوية

التحقت بثانوية الدغارةفي٦–تموز١٩٦٤بعد عودتي للخدمة. منقولا من ثانوية الصويرة الى امر (معارف لواء الديوانية) بأمر الحاكم العسكري العام اللواء رشيد مصلح (رحمه الله) لاسباب يطول شرحها خلاصتها اني كنت معاقبا بكف اليد عن العمل(سحب اليد لنشاط سياسي سابق منذ شباط ١٩٦٣) ثم اعدت الى العمل والأف من المدرسين والموظفين اليساريين نتيجة صفقة سياسية نفذها القوميون (جماعة عبد السلام عارف –طاهر يحيى) على حساب البعثيين الذين غادروا السلطة قسرا في تشرين ١٩٦٣ . كانت سياسة الدولة آنذاك أن الموظف أو التربوي المعاد الى الخدمة ينقل الى لواء (محافظة) اخرى للتقليل من نشاطه المعادي ومراقبته بشكل افضل مع بقاء سيف المحاكمة في المحكمة العرفية العسكرية قائما نفذ بعد حين كان رأي مديرية معارف الديوانية (المديرية العامة لتربية محافظة القادسية اليوم) هو الافادة من خبرة التربويين الذين اعيدوا الى الخدمة فرشحت بعد عام مديرا لثانوية الدغارة وابراهيم مالك الشعلان مديرا للاعدادية في الديوانية والعم جبار شامخ مديرا لمتوسطة النهضة ومحمد علي الحلو مديرا لثانوية ابي صخير وهكذا

سنة بعد اخرى وانا امنّي النفس بالعودة الى بغداد دون أن استطيع تنفيذ الامر خوفا من الامن في البداية ثم خوفا من الا استطيع كنت معاقبا بكف اليد عن العمل(سحب اليد) لنشاط سياسي سابق منذ شباط ١٩٦٣ ثم اعدت الى العمل والأف من المدرسين وهيأت الذات لاستقرار طويل نسبيا استمر تسع سنوات استطعت خلالها خدمة طلبتي بما ا أستطعت .

التلامذة

كان من تلامذتي الذين شاركوا بفاعلية في يوم الثانوية(الذي استحدثه مجلس المدرسين) الدكاترة : ميمون الخالدي وباسم الاعسم وعاصم الاعسم وسواهم ، أما الطالب زعيم الطائي فقداستمر حتى الصف الثاني وانتقل الى الديوانيةبعد هذا لكن النشاط ظل مستمرا فترة من الزمن ، في وقت ظهرت فيه نشرة شهرية بأسم المدرسة يشرف عليها مدرس الرسم رسول عبد الحسين وقد جرت نشاطات سنوية اخرى للرياضة .

المدرسون

كان المدرسون ايامها نخبة متميزة منهم القاص زهير ابراهيم رسام والشاعر عودة محمد عطية الذي اصدر كتابا في النثر الشعري وجاء بالشاعرين سالم خالص (أبو ضاري) وكاظم الرويعي لينشدا معه في امسية حضرها عشاق الشعر الشعبي في المدينة ،وكان من المدرسين د . صبيح عبد المنعم ود. محمد هليل رئيس جامعة القادسية السابق والسيد كاظم الخطيب والاساتذة : عبد الصاحب هاشم وناظم جواد وخلاوي منديل وهادي الخفاجي وغيرهم من الاعزاء الكثير

في الدغارة أحتفيت بولادة (الطفل) فارس عدنان الذي ولد قبل ولادة ابنتي شهراد بايام ، وكان من اسباب الحفاوة صداقة النساءصداقتي مع والده المرحوم عدنان حسين الذي اغتيل مسموما لكونه شيوعيا.

اكمل فارس عدنان الهندسة في جامعة البصرة لكنه برز شاعرا مهما بين اقرانه وما زال وكانت مأساته بقتل أبيه سببا من اسباب القه الشعري .

إن للدغارة تفاصيل أخرى لدي لكني اجملت بعضها هنا وستتاح الفرصة لكي اسرد بعض

أين قصر الملك ؟ - العشائر والانهار – الطريق الى جلعة شخير – الخنساء وشارع السراي – مدرسون وطلبة – ابرز الادباء والشعّراء

في اوائل القرن العشرين تزايد عدد المقاهي. لم يكن السهر في الاماكن العامة ميسورا بسبب بدائية طرق المواصلات في بغداد. كان لكل محلة ـ حارة ـ مقهى او اكثر حسب حجمها وكثافة سكانها.. كان رجال كل محلة يمضون الامسيات حوالي الساعتين يتناولون خلالها اقداح القهوة المرة، ويتسلون بلعب الطاولي والدومينة وما اشبه، وفي الصباح قد يتوجه البعض الى المقاهي ايضا لشرب «القنداغ» اي الماء المغلي بالسكر، وربما لنفث «النرجيلة» وذلك قبل الذهاب الى اعمالهم، ولم يكن الشاي قد شاع استعماله انذاك كان مقهى (امين) في حلة (البولنجية) في رصافة بغداد احد هذه المقاهي. بولان: اسم المحلة فارسي، يعني: اكاف الحمير والبغال ويقال لصانعه بولنجي. كان صانعو الاكاف يتعاطون عملهم فيها.. وهي تحتوي الان على سوق الهرج ومستجدي باتا كركو واسماء خاتون واللذين هدما، ومقهى "البولنجية" وحمام البتلخانة، ويجتاز هذه المحلة الشارع المسمى بشارع حسان بن ثابت.

مقهى الزهاوي ايام وذكريات

الدكتور جليل العطية

وبعد فتح الشارع الجديد (٩١٦م) في بغداد والذي عرف لاحقا باسم الرشيد اضحى المقهى يطل على شارعي حسان بن ثابت و الرشيد فزادت اهميته.

ـ مقهى امين .. البولنجية.

كان المقهى يحتل موقعا "استراتيجيا" فهو يقع قرب سراي الحكومة وكانت المنطقة تضم بيوت الشخصيات المتنفذة في ادارة العراق.. بينها بيت السعيد، الذي تولى رئاسة الوزارة بعد ذلك ثمن ثلاث عشرة مرة!

اعجب (الزهاوي) بالمقهى، واكتشف انه لا يبعد كثيرا عن داره.. فاتخذه مقرا، فنسي اسم صاحبه واضحى منذ ذلك يحمل اسم الزهاوي.

كان المقهى يؤلف جانبا من تفاصيل المجتمع البغدادي، فهو المكان الذي ترتاده شرائح اجتماعية متنوعة. وبينها فئة "الافندية" التي لعبت دورا في حركة التنوير و النهضة والوعي الاجتماعي يمتاز مقهى الزهاوي بان معظم رواده من اهل الادب والثقافة والسياسة والفن.

ولكل من هؤلاء زاوية يعرفها عمال المقهى وراده.

يذكر (عمران موسى) احد المعمرين المعاصرين، انه كان يشاهد رجلا حنطاويا نحيفا، متعب العينين، ذا شعر ابيض، يراه كل صباح يجلس في مقهاه، وهو يتابط حزمة من الصحف والكتب يعرفه الرواد باسم (جميل صدقي الزهاوي) وكثيرا ما كان ينام وهو يطالع كتابا احدها بالآخر.

قال الزهاوي:

اهلا بشاعر الهند الملهم وحكيمها العظيم!

فأجابه طاغور:

واهلا بشاعر العرب الغرّيد وفيلسوفهم الحكيم!

ومن هناك استقل الموكب القطار الى بغداد.. لتبدأ المهرجانات الادبية احتفاء بطاغور حيث اتيحت الفرصة للجمهور العراقي للاستماع الى قصائده الرائعة يلقيها بالبنغالية. لغته الوطنية. ويشفعها بترجمة انجليزية.

اقام طاغور اسبوعا كاملا في بغداد، كان حافلا بالنشاط الثقافي.

وصف انور شاؤول. الاديب العراقي الذي كان احد اعضاء لجنة الاستقبال، طاغور بانه كان طويل القامة، ممتلئ الجسم، يلفه جلباب قمحي اللون، فضفاض، تسترسل على صدره لحية بيضاء عريضة وهو ماد الينا يديه، يتطلع بعينين شهلاوين واسعتين يشع منهما بريق ساحر. اعجب الضيف بمقهى الزهاوي العابق بالجو الشرقي وازيز النرجيلات وقرقراتها وسحره "الحامض" الذي يفضله العراقيون على الشاي.

واحتفاء به قدم محمد القبانجي حفلة من المقامات العراقية، ازدحم الجمهور لسماعها، ومشاهد شاعر الهند.

في مقهى الزهاوي كتب طاغور بعض قصائده الرقيقة، بينها القطعة الآتية:

ايها الرحالة، اينبغي ان ترحل؟
الليل ساج، والظلمة تمحي فوق الغابة.
المصابيح تشع في شرفتنا والزهر كله ترقرق ريان غضا، والعيون الفتية تستيقظ هادئة.
هل ان وقت الظعن؟
ايها الرحالة اينبغي ان ترحل؟
لم نحط بايدينا الضارعة قدميك.
ان ابوابك مشرعة وجوادك المسرج قائم امام الباب.
لئن حاولنا ان نعيق مرورك، لم نعد الى ذلك بغير اغنياتنا.
لئن حاولنا ان نثنيك عن الرحيل، لقد توسلنا الى ذلك بعيوننا فحسب.
ايها الرحالة اننا عاجزون عن استبقائك.
وليس لدينا سوى الرحيل.
اي لهب لا ينطفئ البتة، يتألق في عينيك!
اي حمى قلقة تعدو في دمك
اي نداء من الظلمات يدفعك
ان كنت لا تحفل بالمجالس الهازجة بالسرور، وكنت تتشوف الى الهدوء، واهن القلب، فلسوف نطفئ مصابيحنا ونسكت معازفنا.
ايه ايها الرحالة، اي روح مؤرقة تناهت اليك من جوف الليل ثم لامستك.
كان للزهاوي تقاليده وعاداته في مقهاه.
وكان كريما خاصة مع الادباء، فاذا لمح احدهم يدخل نادى صاحب المقهى بصوت عال، متحشرج:

ـ امين.. امين.. وير.. لاتاخذ فلوس الشاي!

وكلمة وير تعني على حسابي!

كان الزهاوي يرتجل الشعر ويبتكر الطرائف، وقد سجل النقاد والادباء الذين اعتنوا به .وبينهم: د. يوسف عز الدين، بعد الرزاق الهلالي، د. ماهر حسن فهمي، وعبد الحميد الرشودي، طائفة من هذه النوادر.

يروى انه تلفت يوما في مقهاه، فلمح تلميذه عبد القادر المميز صاحب جريدة "ابو حمد" الفكاهية فقال على البديهة:

قد جاءنا "ابو حمد"
يمشي كمشية الاسد
قد طابت القهوة لي
صب يا ولد! صب يا ولد!

ويروي العارفون ان احد اسباب القطيعة بين الزهاوي والرصافي ان الاخير كان يلقي احدى قصائده الجديدة في هذا المقهى وسط حماس انصاره، مما اثار غيظ استاذه، فما كان من الزهاوي الا ان نادى صبيا دخل المقهى حاملا المكسرات في طبق ليسأله بصوت مرتفع.

ـ عندك قميص شبابي، على حجمي؟

تضاحك الحاضرون ونهض الرصافي غاضبا، بعد ان قطع انشاده، ليغادر المقهى بلا رجعة!

مسرح الزبائنية

بعد رحيل الزهاوي ظل المقهى محتفظا باسم الشاعر، والطريف ان ابراهيم ادهم الزهاوي (١٩٠٠-١٩٦٠)، ابن اخ الشاعر. وهو شاعر ايضا له ديوان طبع بعد رحيله بعناية د. عبد الله الجبوري (القاهرة ١٩٦٩).ظل مواظبا في التردد على المقهى، وكان قد ساجل عمه عبر الصحف خلال العشرينات لاعتراضه على بعض افكاره.

وبقي المقهى منتدى وساحة للندوات والنقاشات الادبية والثقافية.. وفي اواخر الاربعينات والخمسينات اتخذته فرقة الزبانية للتمثيل مقرا..

كانت الفرقة تضم رواد المسرح العراقي وبينهم حقي الشبلي، ناجي الراوي، حميد المحل، محمد القيسي، جميل الخاصكي، ناظم الغزالي. المغني الشهير. كامل القيسي غازي التكريتي.

حدثني حميد المحل ان الفرقة كانت تقوم بتجاربها (بروفاتها) داخل المقهى، بعد ان تضع ستارة بسيطة، غير ان عددا من الفضوليين، كانوا يبذلون المستحيل من اجل مشاهدة تلك العروض التي كانت تقدم في ثانويات الرصافة المختلفة.

زاوية لكل فئة

واتخذ الخطاطون زاوية لهم في المقهى، فكان يتردد عليها هاشم محمد، سلمان الخطاط، نبيل نور الشريف، صبري مهدي وغيرهم.

كان الخطاطون يتبادلون الآراء ويعرضون جديدهم ومشكلاتهم على "صبري" و "هاشم".

ولرواد المقام العراقي زاوية ايضا، ارتادها شيوخهم امثال: الملا حسين البابوجي، شلتاغ، احمد زيدان، محمد القبانجي، يوسف عمر، عبد القادر النجار، وعبد الرحمن خضر.

ولقراء المقاتل النبوية الشريفة زاوية يرتادها: حافظ مهدي، الحاج محمود عبد الوهاب، وعبد الرحمن توفيق، محيي الدين الخطيب، علاء القيسي، وملا بدر الاعظمي.

ومن الشعراء والعلماء ارتادها: محمد بهجة الاثري، خيري الهنداوي، خضر الطائي، كمال الجبوري، كمال الدين الطائي، علي الفراتي، انورعبد الحميد السامرائي، واكرم فاضل.

ومن رجال السياسة كان من روادها: جعفر ابو التمن، سعيد فهمي، صادق البصام، حسين جميل، وعبد الفتاح ابراهيم.

ومن الصحافيين نوري ثابت المقلب بحجزبوز، عبد الستار الطرفولي، ثابت نعمان، توفيق السمعاني صاحب جريدة "الزمان" عادل عوني صاحب جريدة "الحوادث" زكي السلامي الشاعر ورئيس تحرير مجلة الاذاعة والتلفزيون، عبود الكرخي الشاعر الصحافي.

الجواهري والزهاوي

قال الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، وكان من رواد المقهى: ان الزهاوي التفت الي ذات يوم ليقول لي بلهجة التحدي:

ـ افندم تتراهن؟

ـ علي ان اقطع نفسي، وتقطع نفسك والساعة حكم بيننا.

الشيخ الزهاوي على وقاره ومكانته، والجواهري الشاب وفي مقهى حافل، وعلى منضدة تتوسطهما، وقد وضعت ساعة في وسطها، وكلاهما يبدأ باشارة ليقطع نفسه، وتطلعت العيون اليهما، وحبست الانفاس وانتفخت الاوداج والعروق واحمرت الوجنات وجحظت العيون، وابتدأت ثواني الساعة تمر بطيئة متكاسلة، واخيرا يستسلم الشاب ابن السابعة والعشرين بكل حيويته وقوة قلبه ويأخذ النفس وهو يثب على كرسيه ويقول:

ـ يا أستاذ كفاية!

لقد كسب الزهاوي ابن السبعين الرهان وخسر الجواهري الشاب!

استأذن الزهاوي في الانصراف، ونادى على النادل "يا ولد تعال خذ فلوسك". واسرع النادل وكان الحساب بالاثنات الهندية، فعد الجالسين واحدا واحدا ليدفع عنهم اثنة، اثنة مستثنيا من يكرهم او يكرهونه، صنع ذلك بتحد، يبين في ومضات عينيه وفي خلجات وجهه، ولم يستطع واحد من هؤلاء المساكين ان يعترض، ولماذا يعترض؟ انه رجل يدفع حسابه، ويا لقطاعة المنظر حين يدخل كل منهم يده في جيبه ويدفع عن نفسه.

حكاية قصيدة للسياب

في اوائل الخمسينات اتخذه بدر شكر السياب واحة. فيه كتب العديد من القصائد والردود والمناقشات التي كان ينشرها على صفحات مجلة "الآداب" وغيرها من المجلات.

على هذه الطاولة كتبت "الموس العمياء"! قال لي السياب وهو يستعيد ذكرياته في مقهى الزهاوي.

كانت المنطقة، سيئة السمعة، تقع على مرمى السياب الى المقهى، واثناء مرور السياب الي المقهى، لفتت نظره "عمياء يقودها صبي" تقف على الرصيف.. وبعد ان جمع شيئا من المعلومات عن مأساتها خلدها في قصيدته الشهيرة "الموس العمياء".

وفي الستينات كان للشاعر عبد الامير الحصيري (١٩٤٢، ١٩٧٨) حلقة يرتادها مجموعة من الشباب بينهم طارق ياسين، قتيبة عبد الله، خالد يوسف وفالح عبد الجبار.

كان الحصيري ينفث الدارجلة ويتحدث ويسخر من موجة الشعر الجديد الذي كان انصاره قد اتخذوا من مقهى البلدية. القريب مقرا لهم.. لكن هذه الحلقة لم تدم طويلا، فلقد انتقل الحصيري بعدها الى مقهى الشابندر (بشارع المتنبي) ولم يقتصر الجلوس في هذا المقهى على العراقيين، فلقد احتضنت كراسيه: احمد حسن الزيات (صاحب مجلة الرسالة)، ود. زكي مبارك، ود.عبد الرزاق السنهوري، القانوني المصري الشهير، وعبد الله المشنوق .الاديب اللبناني اللامع، وعلي الطنطاوي وغيرهم.

حدثني د. اكرم فاضل (ت١٩٨٧م) ان اديبا فرنسيا يدعى ليكي كان من رواد هذا المقهى وقد الف كتابا عنوانه "عالم واحد" اثناء جلساته الطويلة فيه!

وفي السبعينات والثمانينات اتخذه محمود العبطة. وهو محام واديب. مقراله وكانت حلقته تضم مجموعة من اهل الادب والمقامات العراقية والقانون معا.

اهذا كل شيء؟!

يصعب اختزال مكان احد شهود قرن كامل حافل بالاحداث.. شاهد رأى وسمع الكثير. أه لو نطقت جدرانه المتكاملة!!

احداث في الذاكرة العراقية

عبد المحسن السعدون

توفيق السويدي

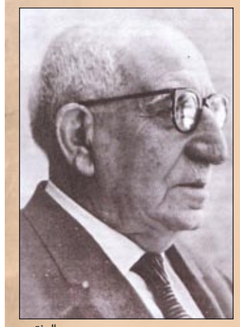
محمود صبحي الدفتري

١٩٢٩ م

× استقالة وزارة عبدالمحسن السعدون الثالثة يوم٢٠ كانون الثاني . × انهاء خدمات «السير هنري دوبس» المعتمد السامي البريطاني في ٣ شباط . وتعيين السير «جلبرت كلايتين» بدله ، وقد وصل الى بغداد يوم ٢ آذار .

× تشكيل توفيق السويدي الوزارة في ٢٨ نيسان وجاء اكثرها من عناصر الوزارة السابقة .

× الغاء «وزارة الاوقاف» وجعلها مديرية عامة تابعة لديوان مجلس الوزراء وذلك في ٤ تموز .

× وفاة الاستاذ «يوسف السويدي» من رجالات ثورة العراق الكبرى يوم ٢٠ حزيران.

× عقد اتفاقية مؤقتة لاسترداد المجرمين بين العراق وسوريا ، وذلك بتاريخ ٢٣ تموز .

× تاسيس «جمعية اصحاب الصنائع العراقيه» والتي تعد اول مظهر من مظاهر التنظيم النقابي في العراق ، وقد تأسست بجهود الاستاذ «محمد صالح القزاز» رائد التنظيم النقابي في العراق .

× اقامة اول قنصليه مصرية في العراق.

× اعتراف متبادل بين العراق وايران والتوقيع على اتفاق مؤقت.

× استقالة وزارة توفيق السويدي يوم ٢٥ آب ، وقد بقيت تمارس مهامها الى يوم ١٩ ايلول وخلال ذلك توفي المعتمد السامي البريطاني بالسكته القلبيه بتاريخ ١١ ايلول

× صدور التصريح البريطاني القاضي بإدخال العراق في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ وذلك في ١٤ ايلول .

× تشكيل الوزارة السعدونيه الرابعة يوم ١٩ ايلول

× سقوط الوزارة السعدونية الرابعة اثر انتحار رئيسها عبد المحسن السعدون ليلة ١٣ تشرين الثاني وتشييعه ودفنه في المقبرة الكيلانيه .

× تشكيل ناجي السويدي الوزارة يوم ٢٣ تشرين الثاني

× تدهور اسعار المحاصيل بشكل مريع وحصول ازمه اقتصاديه كبرى

× تأسيس «جمعية الشبان المسلمين» في بغداد .

× انتماء العراق الى «اتحاد البريد الدولي » × قرار مجلس الوزراء بتخطيط محلة الباب الشرقي باسم «محلة عبدالمحسن السعدون» تخليدا لذكراه ، ودفع مساعدة مالية لعائلته ، وتخصيص راتب تقاعدي لهم ، وتشييد ضريح له وذلك في ٢٦ تشرين الثاني .

× عقد اجتماع كبير في جامع «الحيدرخانه» استنكارا للحوادث التي وقعت في فلسطين وذلك بتاريخ ٣٠ آب .

× زيارة «مولاي محمد علي» الزعيم الهندي ومن اقطاب حزب المؤتمر الهندي البارزين لبغداد .

× تأسيس «مكتبة وزارة المعارف العامه » والتي اصبحت نواة للمكتبة الوطنية فيما بعد .

× تعيين اختزال مكان احد شهود قرن كامل حافل بالاحداث.. شاهد رأى وسمع الكثير. أه لو نطقت جدرانه المتكاملة!! سامياً في العراق يوم ٧تشرين الاول ، خلفا للسير جيلبرت كلايتون المتوفي .

× اقام مجلس النواب تأبينا عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء المنتحر وذلك يوم ١١ تشرين الثاني .

× تأسيس «جمعية إحياء الفن» التي قدمت مسرحيتي «ماجدولين» و«في سبيل التاج» في بغداد

× صدور «قانون الصحه» رقم ٦ و«قانون تشجيع المشاريع الصناعيه» رقم ٤٧ «وقانون اتفاقية البريد «رقم ١٦ «وقانون التزام الواردات» رقم ٤٨ و«قانون ادارة الاوقاف» رقم ٢٧ و«قانون مكس الملح» رقم ٤ و«قانون الحكام والقضاة» رقم ٣١ .

× صدور الجرائد :(الناقد ، المستقبل ، البرهان ، بغداد ، الجمعة ، التراث ، الحارس ، الكواكب ، الدليل ، صوت العرب ، والوطن) .

× صدور المجلات :(الحاصد ، الواجب ، الشباب ، ونشرة الاقتصاد).

١٩٣٠

× وصول السير «فرنسيس همفريز» المعتمد السامي البريطاني في العراق الى بغداد يوم ١٠ كانون الثاني .

× استقالة وزارة ناجي السويدي ، يوم ٩ آذار .

× تشكيل نوري السعيد الوزارة يوم ٢٣ آذار .

× توقيع معاهدة بين العراق والولايات المتحدة الامريكيه وبريطانيا والعراق تتعلق بالشؤون الدينيه والثقافية والخيرية .

× غلق «جامعة اهل البيت» في الاعظمية والاستعاضة عنها بالكلية الاعظمية وذلك في ٢٤ نيسان .

× تعيين محمود صبحي الدفتري أميناً للعاصمة في ٩ نيسان.

× حدوث زلزال في بغداد على نصف دائرة بقطر ١٥٠ كم احدثت بعض الاضرار في المباني والدور .

× اجتماع الملك فيصل والملك عبدالعزيز السعود في الخليج العربي على ظهر باخرة «لوين» في ٩ شباط وحسما معاً المسائل المتنازع عليها .

× تأسيس «جمعية الهداية الاسلامية» يوم (١ شعبان ١٠ كانون الثاني) .

× صدور «مجلة الصنائع» التي اصدرها المناضل النقابي المعروف محمد صالح القزاز رئيس جمعية الصنائع في شهر حزيران .

× قرار مجلس الوزراء إلغاء وزارة الري والزراعه ادماج ملحقاتها بوزارة الاشغال والمواصلات على ان يستبدل عنوان هذه الاخيرة باسم «وزارة الاقتصاد والمواصلات» وذلك في ٦ تشرين الثاني .

× اعلان عمال السكك الاضراب عن العمل بسبب قرار الادارة تقليص الاجر اليومي.

× تأسيس «حزب العهد العراقي» بإيعاز من نوري السعيد وذلك في ١٤ تشرين الاول لتأييد معاهدة ٣٠ تموز ١٩٣٠ وهو حزب حكومي صرف .

× اتخاذ مبنى «جامعة آل البيت» في الاعظمية مقراً للبرلمان العراقي في تشرين الثاني .

× التوقيع على المعاهدة العراقية البريطانية يوم ٣٠ حزيران .

× صدور بيان رسمي بالاعتراف باستقلال العراق وإلغاء الاتفاقيات والمعاهدات بين العراق وبريطانيا وجلاء جميع القوات البريطانيه وغيرها من الاراضي العراقية.

× زيارة الممثلة «فاطمه رشدي» وزوجها «عزيز عيد» والممثل «عباس فارس» بغداد

× تأسيس «الفرقة الشرقيه للتمثيل» برئاسة صبري شكوري.

× تأليف «حزب الاخاء الوطني» وكان حزباً معارضاً ومن اعضائه الهاشمي والكيلاني يوم ٢٥ تشرين الثاني .

صدور «قانون التقاعد المدني «رقم ١٢ و ، اتفاقية الافيون» رقم ٣٩ .

× صدور الجرائد (الجهاد ، صدى العهد ، الاجتماع ، بغداد ، والتجديد).

× صدور المجلات (الرصافي ، الوميض ، الحوادث والهداية).

جميل بشير في ذاكرة الموسيقى العراقية

نابليون اوديشو

تصادف اليوم الذكرى الرابعة والثلاثين لواحد من اهم الموسيقيين العراقيين انه الفنان جميل بشير الذي ولد عام ١٩٢١ في مدينة الموصل الحدباء. ومنذ طفولته وحتى وفاته في لندن في ٢٧ ايلول ١٩٧٧ ظلت الموسيقى بمثابة مبرر وجوده الاساسي. تتلمذ في البداية على يد والده الذي كان صانعاً ماهراً لآلة العود وعازفاً مبدعاً تعرفه الموصل التي كانت مركزاً رئيسياً للموسيقى في الشرق الاوسط. اذ كانت ساحة لقاء وتفاعل بين الموسيقى العراقية وتيارات واساليب الموسيقى التركية والعربية والكردية والايرانية. وعندما غادر جميل بشير مدينته للدراسة في بغداد كان قد غادرها عازفاً ماهراً اصلاً. لكن انتقاله الى العاصمة العراقية لعب دوراً حاسماً في تطوره الكبير اللاحق. فقد تعلم الكثير من الدراسة في معهد الفنون الجميلة ببغداد واستفاد بشكل واضح من استاذه الموسيقار الشريف محي الدين حيدر مؤسس ومدير المعهد، وظل يحفظ له اعترافاً بالفضل حتى عندما اصبح جميل بشير الموسيقار العراقي الأكثر شهرة، وعبّر عن امتنانه هذا من خلال نشره عدة تآليف موسيقية مجهولة لاستاذه، الذي بلور لديه نزوع المغامرة مع الالحان الصعبة والحرص على ايلاء الجانب التقني والعلمي اهمية خاصة في العزف كما اخذ عنه ضرورة تدوين النوتات الموسيقية لكل ما يقع بين يديه من الحان تراثية اضافة الى الحانه المبتكرة. وكان هذا الجانب يقصى عادة من حساب الموسيقين العراقيين قبلئذ بسبب غرابته او صعوبته.

وفي معهد الفنون الجميلة ايضاً استفاد جميل بشير كثيراً من الموسيقار التركي الكبير مسعود جميل الذي عمل لزمن في المعهد رئيساً لفرع الموسيقى، وظل كتاب «سماعي هماوند» الذي ألفه مرجعاً ثميناً لجيل من الموسيقيين العراقيين. فقد درس جميل بشير ستة سنوات في معهد الفنون الجميلة. إلا ان شهرته الموسيقية لم تنتظر تخرجه من المعهد انما ذاعت بين الناس وهو طالب بعد. ومن الطريف ان نشير هنا الى ما كتبه الشاعر السوري فخري البارودي عندما زار بغداد في ١٩٤٣ حيث يذكر بانه حضر امسية موسيقية تكريماً له اقامها طلاب معهد الفنون الجميلة ببغداد، وعندما سمع عزفهم اثار اعجابه بشكل خاص طالب في الصف السادس يدعى جميل بشير قدم معزوفة اسمها «سماعي ديوان» اثارت دهشته لجمالها وعمق ادائها الى درجة ان البارودي وقف بعد العزف وارتجل ابياتاً من الشعر تكريماً للطالب جاء في مطلعها:

جميل بشير انك سوف تغدو بشير الانس بالفن الجميل
قليل في البلاد اذا عددنا عباقرة الفنون بكل جيل

وبغض النظر عن بساطة هذا الشعر، فان ما توقعه البارودي حصل بالفعل. فبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة عمل جميل بشير مراقباً للأناشيد المدرسية في وزارة المعارف. وبصفته هذه قام بوضع عشرات الالحان المخصصة للاطفال والتلاميذ ما لبثت ان عممت على مدارس البلاد وانتشرت بسرعة لما تتميز به من اصالة موسيقية وروحية جديدة. وقد جمعها مع النوته فيما بعد ونشرها في كتاب بعنوان «مجموعة اناشيد المدرسة الحديثة»، صدر في ١٩٤٩ عن مطبعة التفيض ببغداد. بموازاة ذلك واصل جميل بشير التألق في العزف على العود والكمان (وعلى البيانو فيما بعد). وحينما جرى تأسيس الفرقة الموسيقية العراقية الجديدة في العام ١٩٤٨ اختير ليكون أهم عناصر هذه الفرقة التي ضمت ايضاً خضر الياس، عازف الناي الكبير، وعددا من العازفين الآخرين. وقد سمحت له تجربته الطويلة في الفرقة بتطوير مهارة الارتجال الموسيقي لديه واهلته للقيادة الموسيقية حيث كان يضطلع بنفسه بوضع نوتات الالحان التي تؤديها الفرقة ويحرص على تدريب زملائه على تنفيذها بدقة بعد ان كان يقوم بتحفيظها لمن لا يجيدون قراءة النوتة منهم، كما سمحت له بتعميق معرفته بالتراث الموسيقي العراقي ليصبح احد ابرز الذين ساهموا في حمايته من الضياع وتطويره، اذ قام بتدوين اصعب الالحان القديمة لاسيما في مجال المقامات، من بينها مقام الراست الذي دونه من اول الى آخره وقدمه لأول مرة انطلاقاً من النوتة المدونة في احدى حفلات معهد الفنون في اواخر الخمسينات.

كتب عدداً من البحوث والدراسات الموسيقية التطبيقية اشهرها كتاب بجزئين عنوانه «العود وطريقة تدريسه» نشره في عام ١٩٦١ وضمنه العديد من نوتات المقامات العراقية ولازال لحد الان من بين اهم المراجع في هذا الصدد. ولقد تفرغ جميل بشير في العقد الاخير من حياته الى الكتابة الموسيقية في بيته الذي حوله الى «ورشة عمل» لتسجيل الاغاني العراقية.

واخيراً فان هذه المقالة تظل بعيدة جداً من استيفاء جميل بشير حقّه. فهو يحتاج في الواقع الى دراسة اوسع بكثير وينبغي ان تركز على الجانب التقني في ابداعه وهو أمر لسنا في قدرة على تحقيقه في هذا المقال الذي هو مجرد تحية للفنان الكبير جميل بشير الذي حالفني الحظ السعيد مرة فقادني الى لقاء عابر معه عندما اصطحبنا لرؤيته الفنان العراقي الراحل مهند الانصاري وكان ذلك خلال زيارة قصيرة ووحيدة لنا الى الكويت في الايام الاخيرة من عام ١٩٧٠.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون